آراء وملاحظات نقدية عن الثقافة الكوردية

تأليف: جمعة الجباري

كركوك - ٢٠١٢

أسم الكتاب: آراء وملاحظات نقدية عن الثقافة الكوردية
موضوع الكتاب: آراء
أسم المؤلف: جمعة الجباري
الإخراج الفني: أنجام سعيد
من منشورات إتحاد كتاب الكورد – فرع كركوك العدد (١٧٥)
مطبعة: كارو
الطبعة الأولى– ٢٠١٢
عدد النسخ: (٥٠٠) نسخة

مقدمة

تكاد الساحة الثقافية الكوردية تخلو من الآراء النقدية البناءة بحيث بتنا نفتقدها نظراً لقلتها، أو ندرتها. وقد انسحبت الكآبة المزمنة والممرضة على القارىء المتابع؛ وبات هو الاخر ينفر مما موجود على الساحة الأدبية والثقافية ولايتابع الاصدارات اليومية من الصحف؛ الا لاستعمالات تكاد تنحصر بين تنظيف الزجاج و تهيأة مائدة الطعام! هذا في حال ما اذا كان الاصدار مجاناً!! وما يخص الكتب، فشأنها لا يغلب على أخواتها، فهي الاخرى تنزل وترص في خانات ورفوف المكتبات؛ لتتراكم عليها الاتربة وغبار السنين، أو توضع في معارض البيوت والدوائر للزينة والافتخار والتباهي بجمع اكبر عدد منها.
لست بمطنب في الكلام، لكنني اعرف عن ماذا اكتب، وقد كان هذا الكتاب باكورة مشروع اكبر منه بكثير على طريق تعريف الثقافة الكوردية بالقارىء العربي ومن يجيد العربية من غير الكورد، تمهيداً لكسر الدوغمائية الثقافية التي عشناها طوال سني الدكتاتورية العجفاء وما بعدها.. أملاً في تشجيع بقية المثقفين الكورد مجيدي لغة الضاد في سلك طريقي، ليكن مشروع العمر نحو آفاق اوسع لتعريف الثقافة الكوردية الرصينة ببقية لغات العالم وجعلها عالمية.

ولا اخفي القول؛ كثيراً ما نوقش في الاوساط الأدبية، موضوع تعريف الثقافة الكوردية بالثقافات الاخرى، وقد كانت هناك محاولات مشتتة وفردية، هنا وهناك، دون رعاية أو توجيه أو اهتمام؛ فلم يكتب لها النجاح، لاسباب كثيرة:

١- منها ما يعود الى المثقفين انفسهم، حيث عدم معرفة اللغات او عدم اجادة الترجمة الصحيحة للنتاجات الكوردية كان عائقاً كبيراً امام تلك المحاولات.
٢- الحسادة في عدم مجارات المترجمين بسبب عدم التمكن في اللغة هي الاخرى عرقلت الهدف المتوخاه.
٣- المشكلات السياسية الكثيرة والكبيرة في اقليم كوردستان؛ والوضع السياسي الراهن والمتوتر؛ حال دون ايلاء اهتمام السادة المسؤولين باهمية تبني مثل هذا المشروع الاستراتيجي والضخم، الذي لايقل اهميته في رص صفوف الوطنية، وايصال الصوت الكوردي، وتعريف قضية شعب، وتسكين مخاوف مهولة لدى الشعوب الاخرى حيال شخصية وماهية الإنسان الكوردي!

إنَّ عملية تبني مشروع ترجمات أدبية وسياسية وثقافية عامة من جميع مجالات الحياة للثقافة الكوردية، وتحويلها الى لغات اخرى وتوزيعها في اقاصي البلدان؛ لهي اكبر واقدس مشروع حيوي واستراتيجي للمثقفين الكورد بوجه خاص، والسادة المسؤولين السياسيين بوجه عام، حيث ان الثقافة تلعب دوراً اهم من السياسة، حسب رأيي الشخصي، كونها تدخل الى ثنايا ورفوف كل بيت دون استئذان، وتجمع الرأي العام العالمي وراي الشارع المحلي والسياسي دون حدود أو قيود، ومقروء

من قبل الجميع بمعزل عن القيود السياسية والتعصبية؛ ما يجعلها سلاحاً تعبوياً فكرياً كبيراً لكسب نبض شوارع القوميات الاخرى والتفاتات دولية واقليمية لم تكن السياسة بقادرة على استحصالها رغم نضالات السنين..

علّني استطعت من خلال كتابي المتواضع هذا، الذي لملم بين دفتيه كتاباتي الشخصية التي رايتها جديرة باطلاع القارىء العربي لثقافاتنا الكوردية، لعلي من خلاله استطعت ان ادغدغ المشاعر واوقض الضمير والفكر الكوردي الى ضرورة تكوين مثل هذا المشروع الضخم لترجمة الأدب والثقافة الكورديتين الى لغات اخرى، خاصة وانَّ الارضية مهيأة الان لدى حكومة اقليم كوردستان بوضع دائرة أو مؤسسة خاصة كي تعمل على هذا المشروع. سعياً لبناء ماهو اسمى واجل.

والله من وراء القصد

"المؤلف"

ملاحظات حول الثقافة الكوردية

عندما نتحدث عن الثقافة الكوردية في العراق بشكل عام، نرانا ننساق الى تجزءة الموضوع الى جزءين منفصلين، جزء ينتمي الى كوردستان بشكل خاص والجزء الثاني ينتمي الى العراق بشكل عام..

أما ما يخص الثقافة الكوردية في كوردستان، فقد اجتازت مراحلاً من التطور والابداع وظهور ولادة كتاب وأدباء جيدين في كل مرحلة، وتواصلهم الدؤوب مع الأدب والثقافة الكوردية بشكل دائم ومحاولتهم التمحيص والتدقيق في لب التيكستات والنصوص الابداعية وكتابة دراسات قيمة عنها.. ولكن هذه الدراسات مشوبة بحذر شديد خوفاً من أعين الرقيب. إذ كان النظام البائد يدقق في كل صغيرة وكبيرة (بمقص الرقيب) قبل ولادتها الى النور. لذا بقيت تركة كبيرة منها دون تحقيق ودراسة الى ما بعد انتفاضة عام ١٩٩١..

بعد الانتفاضة وتحرير كوردستان من براثن النظام البائد، ترسخت في الاجواء: الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير. وكثرت المجلات والجرائد التي تنادي بالحرية والديمقراطية ونقد الذات بكل صراحة، دون الخوف من المحاسبة. وهكذا، أصبح المجال مفتوحاً للثقافة الكوردية والأدباء ومثقفي الكورد ليخرجوا تلك التركة المضمومة، ويمسحوا عنها الغبار المتراكم على رفوف المكتبات عبر السنين؛ ومحاولة فتح صفحاتها واخراجها الى النور والملأ لتحقيقها ودراستها. وقد

كانت على الاغلب عبارة عن نصوص سياسية وثورية لا تتلاءم مع سياسة النظام البائد، فضلاً عن دراسات ومقالات وبحوث ونصوص ثقافية وأدبية ثرَّة.. وقد شهدت كوردستان منذ انتفاضة عام ١٩٩١ ولحد الآن؛ حقبة من الابداع والتطور الثقافي بفضل تلك الحرية التي يعيشها الاقليم.

وما يخص القسم الثاني، وهو الثقافة الكوردية في العراق بشكل عام، فلا أعتقد ان هناك أي باب للمقارنة بها مع وضعها الراهن في كوردستان. لان الثقافة الكوردية (في الوسط والجنوب) تكاد تكون معدومة، ولا نستطيع في هذه الحالة القاء اللوم على أحد، كون الوضع السياسي والعسكري ما زال متشابكاً وينذر بوقوع كوارث بشرية ومادية خطيرة رغم المحاولات الجادة من قبل حكومة إقليم كوردستان لتهدأة الوضع واعادة المياه الى مجاريها. وقد ألقى هذا الوضع القلق بكاهله على تفكير الناس بمن فيهم المثقفين، وبات كل شيء مؤجلاً الى أن تنقشع غمامة الحرب و(كابوس الموت الرخيص). فالبلد الذي تتقدم فيه الحرب، تتراجع فيه الثقافة وتتوقع على نفسها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى وحسب عملي في مجال الثقافة الكوردية، أراني ملزماً بالاعتراف: وهو ان المثقفين الكورد الموجودين في بغداد والجنوب، أبتعدوا كثيراً عن ثقافتهم الأم وانزلقوا إلى مشارب أخرى وتشرب تفكيرهم بثقافة العرب والغرب وباتوا لا يعرفون عن ثقافتهم الا النزر اليسير جداً..

وهناك أسباب جوهرية أدت الى ذلك، من بينها:

١- ان الحاجز الذي وضعه النظام البائد، للحيلولة دون تواصل المثقفين مع بعضهم، كان له دور كبير في الانقطاع عن بعضنا البعض وعدم التبادل الثقافي، خاصة ان من كان يحاول المواصلة او زيارة كوردستان، كان يعرض نفسه حين العودة

الى مساءلات ومحاسبات هو في غنى عنها، من جهات أمنية، وربما تعرضت حياته للخطر. لذا، أنكفأ الجميع _تقريباً_ عن التواصل والاتصال، مما أثر بشكل مباشر على التطور الثقافي في كلا الجهتين وبات هذا الجانب لا يعرف ما يدور في الجانب الآخر، لحقبة طويلة من الزمن.

٢- تشرب الثقافات الاجنبية من قبل المثقف الكوردي وبشكل دائم دون الرجوع الى التزود بثقافته الأم، جعل حسه القومي ضعيفاً، وبات لا يعرف عن قوميته وثقافتها، سوى انتمائه العرقي لها. وهذا جانب خطير جداً، لان العديد من الطاقات الثقافية الكوردية، ضيعت هويتها القومية بسبب انصهارها داخل الثقافة العربية والاجنبية، وباتت مثار جدالات طويلة الامد والى يومنا الحاضر بين الثقافتين، تحاول كل واحدة منها أجتذابها اليها. والامثلة على ذلك كثيرة.

٣- الحالة الامنية المتدهورة حالياً، اوقفت الحياة الطبيعية للمجتمع وبات الكل في ترقب وتوجس خائف من كل شيء. وبوجود الخوف يتوقف التفكير وتتقنفذ الحركة الثقافة.

٤- عدم وجود دور فعلي وايجابي للمنظمات والمؤسسات والدوائر الثقافية الكوردية في وسط العراق وجنوبه، وعدم وجود مؤتمرات ولقاءات وأمسيات ثقافية، التي تقدم فيها دراسات وتحقيقات ثقافية وأدبية للمناقشة، خدمة لتطويرها وتقوية أواصر العلاقات الثقافية والتزود الثقافي، مما أضفى حالة من الجمود الفكري وضعف ثقافي شديد.

٥- ان الجانب المادي له دور مهم في تعزيز الجانب المعنوي سواء عند المثقف بشكل خاص او الدوائر الثقافية بشكل عام.

فمتطلبات الحياة باتت قاسية ويحتاج المثقف حالياً الى تأمين حياته وحياة عائلته اقتصادياً قبل ان يفكر في تأمين ثقافته. ورغم ان زاد الثقافة يقوي فكره، الا انه يكون ضعيفاً امام معدة خاوية تسلب لبَّه.. وكذلك الحال بالنسبة للمؤسسات الثقافية، فهي تحتاج الى امكانيات مادية كبيرة لتدير النشاطات الأدبية وتطور الاواصر وتمد الجسور الثقافية. وبدون الاهتمام بهذا الجانب الحساس، لا يمكن تحقيق أي من النقاط التي ذكرناها آنفاً.

لذا؛ أرى انه من الضروري جداً الاسراع في تشييد الجسور الثقافية بين جميع المناطق التي يتواجد فيها الكورد وخاصة بين اقليم كوردستان و وسط وجنوب العراق؛ عن طريق تأسيس مراكز ومؤسسات ثقافية لنشر الفكر والابداع والثقافة الكوردية بلغة الام، خدمة لايقاد جذوة القومية والوطنية، وترسيخاً للغتنا التي هي هوية أمة، كانت وما تزال مهددة بالالغاء والتهميش من قبل مجاورين ليس في نيتهم تجرعنا، بل لاينوون اصلاً تقبلنا كما نحن، فكيف بتأثير قرن من الزمن الصارم؛ أثَرَ ومايزال يؤثر في مناطق شاسعة لاراضٍ كوردستانية تعيش تحت نير وضغوط لغات وثقافات وسلطات اخرى، لاتريد بتاتاً احياء اللغة الكوردية في تلك المناطق، خوفاً من الغاء التعريب وتطبيق الديمقراطية والحرية بحذافيرها!

*　　*　　*

"ليس للكوردي إلا الريح"
حوار العمالقة بين درويش وبركات.. ولكن !

ليست بالمبالغة اذا قلنا ان هذه القصيدة (ليس للكوردي الا الريح) للشاعر الفلسطيني ثم (السياسي) محمود درويش، هي مغازلة مكشوفة بالنسبة للكورد! اذ هي من اجل (اعادة المياه الى مجاريها) ومحاولة (جبر) ما انكسر بسبب تدخلات السياسة في جوهر شاعر فذ مثل (محمود درويش).

فالكوردي جُبِلَ على تحمل الصدمات والوقوف بوجه العواصف والنهوض من الكبوات بسبب الخيانات والغدر.. دون ان ينسى. ويحفر بنصول الخناجر في قلبه وذاكرته كل ما مرَّ عليه من احداث. قبل ان يتراكم عليها غبار الزمن.

اقول هذا؛ لاذكر القارىء الكريم باحداث صيف عام ١٩٦٣ حين اغارت طائرات ودبابات البعث البائد على قرى ونواحي المدن الكوردية، لتلقي بحممها على اناس لايريدون من الدنيا سوى العيش بسلام على ارضهم وبين ظهرانيهم.. في تلك الايام وقف الاعلام العربي والعالمي صامتاً امام تلك الانتهاكات اللاإنسانية، الا صوتاً واحداً وقف بقصيدة عصماء ضدها، الا وهو الشاعر محمود درويش بقصيدته (كوردستان) والتي نقدها الاديب الكوردي (انور محمد طاهر) في مقال له نشر بالعدد(٤٢٣٨) في ٢٠٠٤/٥/٢٧ بجريدة التآخي، الصفحة الثانية من الملحق الثقافي (ابعاد ثقافية). وكما يذكر الكاتب فأن محمود درويش نشر القصيدة في مجلة فلسطينية تصدر في اسرائيل. ومن ثم نشرها في ديوانه(غصن الزيتون-١٩٦٤). ويقول:"ولكن حين طبع درويش اعماله الكاملة حذفت هذه القصيدة وذلك بعد دخول محمود درويش الى عالم السياسة" ! وبدأ ينزلق في مهاوي السياسة متناسياً رسالته الإنسانية التي يجب ان يوصلها من خلال الشعر، ويتهرب في اكثر من مناسبة من ألقاء قصيدته (كوردستان)!!

بعد طول السنوات العجاف التي مرت على الكورد في العراق يعود محمود درويش ليجبر الخاطر الذي كسره من اجل (مال الدكتاتور) وسلطة السياسة الزائفة؛ بقصيدة اخرى مهداة منه الى الكاتب الكبير (سليم بركات)، عسى ولعل (يعيد بها الماء الى مجاريه) والقصيدة بعنوان (ليس للكوردي الا الريح) يمتدح فيها الكوردي المغترب عن وطنه، المسكون بالهواجس خوفا من الغد الاتي وهو بعيد عن تراب وطنه.

وقد نشر الشاعر محمود درويش هذه القصيدة في مجموعته الشعرية الجديدة (لاتعتذر عما فعلت) والمطبوعة في دار الريس للنشر، في بيروت، وترجمت من العربية الى الكوردية من قبل الشاعر الكوردي احمد الحسيني.. بيد انني مازلت اؤيد قول الاديب انور محمد طاهر الذي قال"نعم ربح محمود درويش الدولارات وكوبونات النفط، ولكن كما قال المسيح (ع): ربح الدنيا وخسر نفسه.. وخسر شعره وماضيه ومحبة الاخرين" وبعد هذا التوضيح البسيط؛ نسأل: هل ياترى سيقبل سليم بركات الذي وصفه درويش في قصيدته بالكوردي، هذه القصيدة وهذا الاهداء ؟

نص القصيدة
محمود درويش
ليس للكوردي إلاّ الريح
الى سليم بركات

يَتَذكّرُ الكورديُّ، حين ازورُهُ، غَدَهُ...
فيُبْعدُهُ بمُكنسة الغبار: إليكَ عنّي!
فالجبالُ هي الجبالُ. ويشربُ الفودكا
لكي يُبقي الخيالَ على الحياد: أنا
المسافرُ في مجازي، والكراكي الشقيَّةُ
إخوتي الحَمقى. وينفُضُ عن هُويَّتِهِ
الظلالَ: هُويَّتي لُغتي. أنا... وأنا.
أنا لغتي. أنا المنفيّ في لغتي.
وقلبي جمرةُ الكورديِّ فوق جبالِهِ الزرقاء.../
نيقوسيا هوامِشُ في قصيدته،
ككل مدينةٍ اخرى. على درّاجةٍ
حمل الجهاتِ، وقال: اَسْكُنُ أينما
وَقعَتْ بيَ الجهةُ الاخيرةُ. هكذا
اختار الفراغَ ونام. لم يَحْلُمْ
بشيء مُنْذ حَلَّ الجِنُّ في كلماتِهِ،
[كلماتُهُ عضلاتُهُ. عضلاتُهُ كلماتُهُ]
فالحالمون يُقدِّسون الامسَ، أوْ
يَرْشُون بوّابَ الغد الذهبيِّ...
لا غدَ لي ولا أمس. الهُنَيْهَةُ
ساحتي البيضاء.../
منزله نظيفٌ مثلُ عَين الديكِ...
منسيٌّ كخيمة سيّد القوم الذين
تبعثروا كالريش. سَجَّادٌ من الصوف

المجَعّد. مُعْجَمٌ مُتآكلٌ. كُتُبٌ مُجَلَّدةٌ
على عَجَلٍ. مخدّاتٌ مطرَّزَةٌ بإبرة
خادم المقهى. سكاكينٌ مُجَلَّخة لذبح
الطير و الخنزير. قيدو للإباحيات.
باقاتٌ من الشوك المُعَادِلِ للبلاغةِ.
شُرْفَةٌ مفتوحةٌ للإستعارة: ها هنا
يتبادَلُ الاتراكُ و الإغريقُ أدوارَ
الشتائم. تلك تَسْلِيتَي و تَسْلِيةُ
الجنود الساهرين على حدود فُكاهةٍ
سوداء.../
ليس مسافراً هذا المسافرُ، كيفما اتَّفَقَ...
الشمالُ هو الجنوبُ، الشرقُ غَرْبٌ
في السراب. ولا حقائبَ للرياح،
ولا وظيفةَ للغبار. كأنه يُخفي
الحنينَ الى سواهُ، فلا يغنّي... لا
يُغَني حين يدخُلُ ظِلُّه شَجَرَ الاكاسيا،
او يبلّلُ شَعرَهُ مَطرٌ خفيفٌ...
بل يُناجي الذئبَ، يسأله النزالَ:
تعال يا ابن الكلب نَقْرَعْ طبْلَ
هذا الليل حتى نوقظ الموتى. فانَّ
الكورد يقتربون من نار الحقيقة،
ثم يحترقون مثل فراشة الشُّعَراء.../
يعرفُ ما يريد من المعاني. كُلُّها
عَبَثٌ. وللكلمات حيلتُها لصيد نقيضها،
عبثاً. يفضّ بكارةَ الكلمات ثم يعيدها
بكراً الى قاموسه. ويَسُوسُ خَيْلَ
الابجدية كالخراف الى مكيدته، ويحلقُ
عانَةَ اللُغةِ: انتقمتُ من الغياب.
فَعَلْتُ ما فعل الضبابُ بإخوتي.

و شَوَيْتُ قلبي كالطريدة. لن اكون
كما اريد. ولن احبَّ الارض اكثر
أو أقلَّ من القصيدة. ليس
للكورديِّ الاّ الريح تسكنُهُ و يسكُنُها.
و تُدْمِنُهُ و يُدْمِنُها، لينجوَ من
صفات الارض و الأشياء.../
كان يخاطب المجهولَ: يا ابني الحُرّ!
يا كبش المتاه السرمديّ. إذا رأيتَ
أباك مشنوقاً فلا تُنْزِلْهُ عن حبل
السماء، ولا تُكَفِّنْهُ بقطن نشيدك
الرَّعَويِّ. لا تدفنه يا ابني، فالرياحُ
وصيَّةُ الكورديِّ للكورديِّ في منفاهُ،
يا ابني... والنسورُ كثيرةٌ حولي
وحولك في الاناضول الفسيح
جنازتي سريَّةٌ رمزيّة، فَخُذِ الهباءَ
الى مصائره، وجِرَّ سماءك الاولى
الى قاموسك السحريِّ. واحذرْ
لَدْغَةَ الأمَلِ الجريح، فانه وَحْشٌ
خرافيّ. وأنت الآن... انت الآن
حُرّ، يا ابن نفسِكَ، انت حُرٌّ
من ابيك و لعنة الاسماء.../
باللغة انتصَرْتَ على الهُوِيَّةِ،
قُلْتُ للكورديِّ، باللغة انتقمتَ
من الغيابِ
فقال: لن أمضي الى الصحراءِ
قُلْتُ: ولا أنا...
ونظرت نحو الريح/
- عِمْتَ مساء
- عمت مساء!

أوشحة الفجر تحيط بـ(خلات احمد)

"الابداع ليس تسلية والعمل الفني ليس ثمرة فراغ أو نزوة بلينسكي"

الشعر.. هذا الكائن اللامرئي. انه لايؤذي، ولكنه حين يهب؛ يكون عنيفاً: يحرق ذواتنا الظمأى، بينما ننتظره في الخفاء وندخل معه عالم السرمدية... وبعد ان يجيد الشعر كتابة الاحتراق والانين؛ يطمح في بعده الاسمى الى بناء الهرم الجمالي في وجدان الشاعر؛ والذي بدوره يسعى الى تتويج هذا الاحتراق بأذكاء روح المتلقي وشحذه لأيقاعه في عالم الماورائية وأدخاله في طيات الاحتراق الوجداني، ومشاركة الشاعر الألم المنكه بالألق والحبور؛ وادخاله في عالم الصيرورة، وابعاده عن عالم الانتقال المرحلي الكاذب، عالم الإنسان الملىء بالترهات الذاتية...وكي تتبلور لدى القارىء

المتلذذ باريج وعبق الاحتراق الشعري "الرؤية الكونية الوجودية، في بعدها الاعمق والاشمل".

ولا يختلف اثنان على ان الشعر تهذيب لذات البشرية وتعميدها من دنس الحياة واكاذيبها، واذا كان الشعر قادرا على كل ذلك؛ فحري به اذن، ان يحل أكبر معضلة في الوجود، وهي إنسانية الإنسان، الذي حرم نفسه بيده منها، في هذا العالم القلق حد الانكسار.

لم ألتق بالشاعرة الرقيقة (خلات أحمد) ولارأيتها في مناسبة، ولكنني أعرفها أكثر من نفسها، وأحس بأنني أعرفها منذ زمن بعيد، وأتعايش معها دقات قلبها المفعم بالإنسانية، ولا أرى أن "أوشحة الفجر.." يليق بغيرها، فهذا ديوان شعري كتبتها الشاعرة خلات أحمد المغتربة في سويسرا، "بترياق" دمها المنحل الى ماء، نتيجة لوعات اغتراب الجسد الذي كان يتغذى على اريج كوردستان فقط، وحالما ابتعد عنها؛ اصبح الذبول والانكسار، الرفيق الملازم، والنزيل الدائم في قفصه.. وعزاء شاعرتنا الوحيد، ان روحها الزكية بشعرها المفرط في الرومانسية، تحوم كل يوم فوق سماء كوردستان، لتلتقط منها انفاس العبير وتكفيها ليومها ذاك، وتظل باقية على قيد الحياة الى ان يحين الوقت الذي تعلن فيه الرحيل تقفل راجعة بأتجاه الوطن:

"أنا الجميلة الناعمة في المرايا
بشعري العاشق
وأهداب يقطر منها الزبد
لدنةً في تماوج الضوء
أنشد مياهاً ينتشي فيها جلدي
وحلماً
أضاهي به أنوثتي..."

جمعت الشاعرة (خلات احمد) ١٤ قصيدة في ديوانها الجديد "أوشحة الفجر- الترياق" الذي طبع في مطبعة هاوار بدهوك، جمعت شتات جسدها المبعثر الذابل في الغربة، واحرقتها بكلمات قصائدها الملتهبة، لترشد الظمأى بتوهجها الى طريق الحياة- الوطن- الإنسانية المعذبة...

جمعت في اكوام ركامها صوراً لذكريات عتيقة، حفرها الزمن في ذاكرتها والمنعكسة على شخصيتها المعتدة بشرقيتها التي تراها أصالة في غياهب الغرب المظلم:

" على كتفيَّ البريتين
تستريح قرى الشمال وأغاني الحصادين
يسكرون من وهج التراب
دوامة الغبار
خلف كومة القش الكبيرة
تشعل الرغبة في رؤوس أناملي
...
ذاكرتك الريفية
أحجيات جدتي في مساءات الشتاء
الطنين الهادىء للنحل في القفير
ينتظر مثلي
ان يعلن الصيف عن نضوج الفاكهة"

وهكذا الحنين الى الديار يطغى على قصائدها الرقراقة المنسلة من انامل ناعمة كالحرير، لتدرق على بياض ورقة انهكتها التوجعات، وتوسلات الشاعرة... حب عارم مندفع حتى الذوبان من **كۆچريه** يتدفق ولهاً وولعاً ، يتدفق حنيناً للعودة الى أفياء الديار ومن سكن الدار وأحضان الأم الدافئة:

" أيها الغريب في المدائن البعيدة
أستحم لك

بالقرفة واليانسون
وأخضب بالحناء كاحلي
وأصبعي الصغير
وتسبغ لي يديك الناحلتين
بتبغ أصفر
وحنين جارف
للأنبلاج في مآذن الجزيرة
والصدى المضني للهفة أمي"

كل هذا الاحساس المرهف يتدفق من وجدان شاعرة شابة، اجبرتها الغربة والحنين الى الماضي القريب وذكريات محفورة في تعرجات قلبها، للبوح بلغة قوية تلمع من فرط العذوبة وقوة السبك وسلاسة الكلمات وعمق المعنى والدلالة:

" لو أنك لا تأتي
لأتواضع الى كمال غيابك
أتسع في المتراكم فيك
ملء أصابعي المثقلة بنرجسٍ مدمى
يلفحني صوتك مكتظاً باليمام
أرشف أجزاءك
أشتت كل البدايات
هكذا...
أحتويك كما ينبغي"

ما أروعك يا خلات، اتمنى لك مديد الشعر وعمق الاحساس ويوم لي في لقائك وأجذب ما بروحك المرهف الى روحي السكرى بلوعة الابداع، مثل ابداعك.

* * *

القصة الكوردية
البدايات.. الرواد.. التيارات

لاشك ان أي صنف من اصناف الأدب لأي امة، مر بمراحل صعبة من النمو والتطور والرقي الى المستوى المطلوب أو المأمول.. وتاريخ فن القصة الكوردية حافل مثل غيره بعقبات وصعوبات اعترضت طريقه خلال مسيرته للوصول الى مصاف العالمية أو القارية على مستوى شرق آسيا.

يبدو أن المعوقات التي أعترضت طريق نجاح القصة الكوردية؛ هي نفسها بالنسبة لباقي الاقوام، كون التأثيرات الجيوغرافية والسياسية والاقتصادية تكاد تكون مماثلة؛ بالنتيجة تكون المعوقات ايضاً مماثلة؛ ذلك لتحادد الحدود والمجاورة وتبادل التأثيرات المذكورة آنفاً، الى جانب العادات والتقاليد المتوارثة جيلاً بعد جيل، التي هي الاخرى مماثلة من حيث المضمون.

وبما ان (الأدب) ظاهرة اجتماعية وهو تعبير عن مجمل انفعالات الكاتب ومشاعره الوجدانية العاكسة لحالات من جروح المجتمع؛ فأن (القصة) هي احد الفروع المهمة لأدبنا الكوردي، التي ظهرت_ أي القصة الكوردية_ في عشرينات القرن المنصرم وتماسكت كشكل فني في خمسينات ذات القرن،ثم بدأت تشق طريقها نحو بناء فني افضل، الى ان وصلت الى ما هي عليه الان من آفاق التطور الكتابي والفني، إما بفضل ابداعات شخصية أو تقليد الافضل لذات الفن الاوروبي.

في بداياتها، كانت القصة الكوردية عبارة عن تعبير بحت لحالة المجتمع السياسية والاجتماعية، وكانت البلاد تعيش تحت نير الحكم العثماني الذي اضفى هالة من الضباب الكثيف للجهل والتخلف على سائر العراق بشكل عام والمجتمع الكوردي بشكل خاص؛ مما جعله يعيش في جملة من الانتكاسات وعدم التفاؤل بالمستقبل..

ومن جهة اخرى كانت الامبريالية الغربية تدرس الشرق حسب خطة بعيدة المدى؛ وتحاول حجز موطىء قدم لتثبت عليه اركانها. وفي خضم هذا الصراع السياسي في المنطقة؛ ظهرت روح الانتفاضة والمشاعر القومية بين تيارات سياسية كوردية سعت للدفاع عن حقوق الكورد التي تغتصب عنوة من قبل الاطراف السياسية المتصارعة للاستيلاء على المنطقة ونهب ثرواتها. فظهرت حركة (الاتحاد والترقي) عام ١٩٠٨ لتتسلم زمام الامور وتلبي رغبات الكورد القومية، ورغم كونها قطعت شوطاً جيداً؛ ولكنها لم تقدر ان تفعل ذلك..

وتزامناً مع الحركات السياسية الكوردية؛ كانت هناك حركة ثقافية كوردية تلوح في الافق ايام الحرب العالمية الاولى، وقد صدرت بعض المجلات والجرائد باللغة الكوردية مثل(كورد، روزى كورد، هه تاوى كورد) التي مهدت الى بناء اسس راسخة للثقافة الكوردية وخاصة القصة الكوردية، كما صدرت في عهد حكمدارية (الشيخ محمود الحفيد ١٨٨٢_١٩٥٦/١٠/٩) جرائد ومجلات كوردية؛ اوقدت بمضامينها حرارة الاحساس بالثورة والحقوق القومية، مثل (بانكى كورد،بيشكه وتن، ئوميدى ئيستقلال، زيانه وه). اذ ان هذه المطبوعات حثت المثقفين على كتابة التاريخ والعلوم والفولكلور الكوردي، مع الاهتمام بالأدب بشكل خاص ، لانه السبيل الوحيد للمواصلة الثقافية والوجدانية مع الجماهير؛ لذا نستطيع القول ان انتشار المطبوعات الكوردية في تلك الفترة؛

كان له الدور الكبير والاساس في ظهور فن القصة الكوردية الى جانب عودة المثقفين الكورد المغتربين من الخارج الى ارض الوطن، كانت لها تأثيراً وفعالية في تأجيج المشاعر والاحاسيس المرهفة بين اقرانهم من الداخل، كما انهم عادوا وهم يحملون تجارب الثقافة الغربية المتطورة، كذلك وجود خميرة جيدة من مادة كتابة القصة وهي القصص الفولكلورية والقطع النثرية. وايضاً "المسابقة التي نظمها الميجر سون عام ١٩٢٠ عن طريق جريدة(بيشكه وتن) والتي شارك فيها عدة اقلام معروفة في ذلك الوقت وفازت بجوائز قيمة" . كل هذه كانت اسباباً مباشرة لنمو وبناء القصة الكوردية.

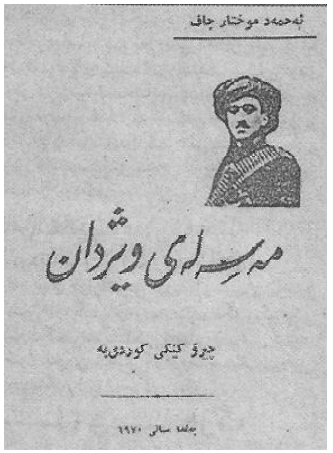

ويرجح الباحثون في مجال القصة، ان اول قصة كوردية بشكلها الفني هي قصة (له خه وما _ في حلمي) التي نشرت اول مرة في جريدة (**ژیانەوە**) العدد الصادر يوم ١٩٢٥ /٧/١ حيث نشرت الحلقة الاولى منها دون ذكر اسم كاتبها، لكن في الحقيقة ان صاحب القصة هو رئيس تحرير الجريدة (جميل

صائب) بعد ذلك نشرت منها (٢٣) حلقة وتركت دون اكتمال نشرها، ومثلما اسلفنا فأن مضمون القصة هو بمثابة حل عقدة سياسية كانت قائمة في تلك الفترة ايام حكم الشيخ محمود الحفيد.وتدخل قصة (له خه وما) من الناحية الموضوعية في خانة (النقد الريالزمي) لانها اخذت ملامح تاريخية لمرحلة معينة.. لذا نستطيع القول ان القصة الكوردية بدات بهذا المذهب.

أحمد موختار بةك الجاف

بعد قصة الكاتب جميل صائب؛ تشجع الكتاب الاخرون لكتابة القصص، وبالاخص في عامي ١٩٢٧_١٩٢٨ حيث قام الشاعر (احمد مختار الجاف) بمحاولة لكتابة القصة الفنية، وكتب قصته الشهيرة (مه سه له ى ويجدان _ مسألة الضمير) في اطار المذهب الواقعي النقدي، وبخصوصها يقول الكاتب (عمر معروف البرزنجي) في كتابه الذي سنشير اليه اخيراً :"لاشك انها شغلت لنفسها حيزاً في مجال الأدب، وبما انها لم تنشر في حينها؛ لذا لم تؤثر في ازاحة المعرقلات التي تعترض سبيل التطور الاجتماعي وفن كتابة القصة، وحتى لو كانت قد نشرت على حلقات كقصة (في حلمي) في جرائد ذلك العصر؛ لأثرت ابلغ تأثير في تطور هذا الفن (رغم ان قراء ومثقفي ذلك العصر قاموا باخذ هذا النتاج من الشاعر وقراءته في ندوة خاصة) الا انه تداول في ايد محدودة ولم يصل الى ايدي شريحة واسعة من المثقفين الكورد للأستفادة منه" .

Said Hussein Huzni Mukriyani, brother of Giw

بعد ذلك توالت كتابة القصة ونشرها في الاصدارات الكوردية، نذكر على سبيل المثال : (قصة فرسان مريوان الاثني عشر)، لكاتبه الشاعر الكبير (بيره ميرد) الذي اخذ فكرتها من الفولكلور الكوردي. وقصة (بعد الثمالة جنون) لكاتبها (محمد علي كوردي) التي نشرها عام ١٩٣٤ ويتطرق فيها الى قضية اجتماعية تمس اخلاقيات الفرد وتصرفاته داخل المجتمع. وقصته الطويلة (نازدار.. أو المرأة الكوردية في الريف). وايضاً كتبت قصص قصيرة طريفة بعضها تخص الاطفال، مثل قصة (العنزة والخروف) لكاتبها (حسين حزني موكرياني ١٨٨٦- ١٩٤٧). وهكذا دواليك؛ اجتاز هذا الفن عدة مراحل تاريخية الى ان وصل لايدينا جاهزاً ، ننظر اليه الان كمادة اولية وبداية راسخة لتاريخ فن رفيع؛ اثر بشكل كبير في تغيير مسار الكثير من الاحداث والافعال غير اللائقة في المجتمع واعادتها الى الطريق السليم، كما اثر على رسوخ الحس القومي وتأجيج الضمير الحي للفرد تجاه امته ومجتمعه، لان فن القصة لايمكن ان يدخل في باب(الفن للفن) بل يدخل في صميم باب (الفن للمجتمع).

*** بالاستفادة من كتاب (دراسة وبيبلوغرافيا القصة الكوردية) لمؤلفه معروف عمر برزنجي، باللغة الكوردية.**

* * *

"أزاهير شعرية"
في عيد نوروز

يتقيد كل شعب لديه ماض عريق بمراسم موروثة عبر اجيال وقرون. ولاشك ان الشعب الكوردي دون سواه عُرفَ باحتفاله السنوي بعيد (نوروز) الذي سطرت عنه ملاحم وبطولات؛ تروي شهامة (كاوة الحداد) الذي ثأر لأبنائه وأبناء قومه الذين قُدِمَتْ أدمغتهم قرابين للملك المتغطرس (ضحاك) . فقتله كاوه الحداد بمطرقته، ثم ذهب الى قمة أعلا جبل وأوقد ناراً عظيمة أيذاناً لبني قومه الذين لجأوا الى كهوف الجبال الشاهقة؛ بأنبلاج الغمة السوداء وشروق شمس الحرية من جديد..

وهكذا؛ اصبح يوم (٢١ آذار) يوم ابتهاج بالربيع الجديد وحياة جديدة. وشغلت المناسبة امتداداً جغرافياً واسعاً غطت (هضاب البامير والتبت وشمال غرب الهند وماوراء النهر الى وادي النيل عبر ايران وآذربيجان والاناضول والعراق) حيث احتفلت بهذا العيد في العهود السحيقة شعوب هذه المناطق الواسعة، رغم اختلاف لغاتها ومعتقداتها واجناسها. ويُحتَفَلْ به حتى الان في اواسط آسيا والعراق وايران.

بيد انَّ الكورد تميزوا بالاحتفال به؛ لأن الانتصار على الشر جاء على ايديهم بقيادة كاوه الحداد. ومازال هذا الاحتفال في تجدد مستمر وبحلة ابهى كل عام، وقد اصدرت حكومة اقليم كوردستان العراق قرارا أقرت بموجبه ان يكون عيد نوروز عطلة رسمية لمدة ثلاثة ايام ابتداءً من ٢١ آذار.

ولهذا العيد المقدس تأثير وجداني كبير على الصعيد الأدبي، اذ طالما تغنى به الشعراء وأورده القصاص كدلالة : للفرح ، للبطولة، رفض الظلم والاستبداد، نشر المحبة والغبطة والفرح في سائر البلاد وبين الناس، الحماس واستنهاض الهمم. ولاشك ان الصور الشعرية تأتي مفعمة بالدفق والحماسة والحركة والتفاعل الحقيقي والصميمي مع المناسبة الكبيرة؛ كونها قومية متجذرة في نفس كل كوردي؛ لذا تراهم يعبر كل منهم بطريقته عن سروره، تجمعهم نار كاوه الكاريزمية التي يرمز ايقادها في هذا اليوم الى الانعتاق والحرية وحب الحياة. والشعراء ايضاً بشعورهم المرهف ووجدانهم الرقيق؛ يصورون في قصائدهم كل الالوان الزاهية المنبعثة عن نوروز؛ فيصورون لنا لوحات فنية رائعة حافلة بالفرح.

وقد خلدت في الذاكرة قصائد لشعراء أمتازوا بالاصالة ودفق المشاعر والاحاسيس الحقيقية.

وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر، أبيات كوردية متفرقة ترجمناها للفائدة المرجوة، عسانا قدمنا ما يفيد الناقد والمتابع والقاريء العربي:

يقول الشاعر الكوردي الكبير (بيره ميرد ١٨٦٧ – ١٩٥٠) في قصيدة بعنوان (ازاهير نوروز) ترجمها الى العربية د. معروف خزندار :

هنيئاً.. لقد طلع العام الجديد
واشتعلت نيران نوروز
ذابت ثلوج الشتاء
وتدفق معين القلوب بالحياة
فليكن ذلك من نصيب الاكراد البائسين

أما الشاعر (كوران ١٩٠٤ –١٩٦٢) الذي كان مثل الشاعر بيره ميرد يرى في الاحتفال بعيد نوروز امرا واجبا، غنى به يقول:

أنورزُ ؛ أنورزُ
نوروزاً مفعماً بالمشاعر
أبارك عيد الشعب
ككوردي وفي
أحتفل بنوروز
ويقول أيضاً:
تبيد نار نوروز عتمة الليل
ويهدهد الازهار ربيع الامل
زهور الحرية زهور الانعتاق
لايحصل عليها احد دون عذاب

ويقول الشاعر الثوري (شيخ نوري شيخ صالح) في قصيدة حماسية :

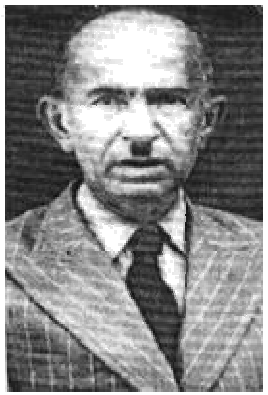

لاتوقد نار نوروز بالخِرَق والفتائل
لتصبح رماداً وتخبو وهجها سريعاً
فنار نوروز يجب ايقادها بوهج الروح والقلب
بحيث لو اتى عليها نهرا دجلة والفرات

لايطفئانها،
ولو منعت عنك عيد نوروز بجنون
فيجب عليك التضحية بروحك بكل اباء
ودم الشباب يكون وقودها ويغذيها؛
فتلتهب بشكل لايخبو ابدا وهجها..

ويصف الشاعر (سالم) احد اعمدة الأدب في امارة بابان، عيد نوروز بيوم الفرح والبهجة والمرح، فيقول:
انه صبح نوروز حان وقت الشراب
الصبوح الصبوح يا اصحاب..
كذلك يصفه الشاعر (أفخمي):
انه نوروز تعال وانظر الجبال انه الربيع
حان وقت تغريد الطيور وسياحة الاودية ومواعيد العشاق
ومثلهما يصفه الشاعر (دلزار) في قصيدة له بعنوان (عيدنوروز) بيوم البهجة والسرور والتمتع بالطبيعة الحرة :

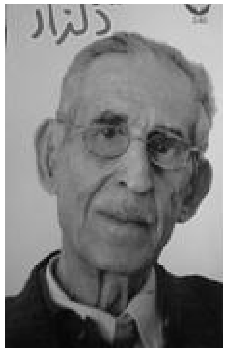

الارض مزهرة.. انه ربيع جديد
انه عيد نوروز
الهواء معطر.. والمروج خضراء
مراسم مقدسة..

أما الشاعر (شيخ سلام) فيؤطره بأطار ثوري مع اضفاء جو من القدسية على المناسبة:

مبارك عليك عيد نوروز
وليلك الحالك نهاراً ونهارك نوروز
فهذا اليوم الذي هشم كاوه الكوردي
رأس ضحاك بمطرقته..

كما أن الشاعر المرهف (أحمد تاقانه) يدعو في قصيدة له بعنوان (نوروز. ترقب) أعداء الشعب إلى إحتضان المنية كلما حاولوا التعرض للشعب الكوردي. وقد حدد يوم نوروز يوماً لموتهم، وشراباً مسموماً لفنائهم.

هلموا يا أعداء الشعب فأنه يوم فنائكم
وشجرة تاريخكم أثمرت فاكهة مرَّة
بالامس كان دم الكادح والفلاح لكم شراباً
عجلة الزمن تدور؛ ذلك الشراب يصبح اليوم ويلاً

وفي قصيدة طويلة للشاعر الثوري (كامران) بعنوان (هدية نوروز) والتي ترجمها الى العربية "حسين عارف" يقول الشاعر في مطلعها:

لذلك اليوم العظيم
لعيد نوروز الخالد
سأنسج باقات ثلاث
من نرجس وأزهار وديعة
تلك هي هديتي البديعة
للكورد..
لذلك الشعب الباسل

وكثير من قصائد اخرى وصفت هذا اليوم باوصاف اخرى، حسب رؤى الشاعر وتوليفاته التي اضفت جمالية على المناسبة، التي تتكرر كل عام بطقوس ازهى من سابقاتها، بحيث يتجدد هذا العيد بين الكورد بشكل طبيعي اكثر حماسا واكبر بهجة.

* * *

ملحمة الشيخ سنعان..
تراتيل صوفي عاشق يبحث عن التعبد في وادي الكفر!

التدوين التاريخي، سواء كان شعراً أو نثراً أو دراسة؛ انقذ الكثير من تراث الكورد الزاخر و الموغل في القدم من الضياع؛ بسبب التقادم الزمني الطويل وتطور الحضارة واستشراء كارثة نسيان الاجيال الجديدة لموروثاتهم القومية الثمينة من الفولكلور والأدب الكوردي الرفيع، الذي هو ثروتنا الثقافية التي نفتخر بها اينما ذهبنا.

وعلى هذا الاساس، قبل الحديث عن تدوين ملحمة (الشيخ سنعان) أو نبحث فيما اذا كانت الملحمة من تأليف شاعرنا الكبير (فقي تيران) أم لا، لابد لنا من القول: ان قصة الحب الخالدة بين الشيخ سنعان والفتاة المسيحية كانت معروفة بين اوساط المجتمع الكوردي كقصة حب عذرية حقيقية. وعرف الشيخ سنعان الذي خلد ذكره كعاشق متيم بين الكورد قبل ذلك التدوين الفلسفي للشاعر فقي تيران.

وفي مقطع شعري لمعاصر فقي تيران الشاعر الكبير "ملا جزيري" يذكر فيه حقيقة العشق عند الشيخ سنعان على انه عشق الاهي، اذ يقول حسب شرح المعنى الذي ترجمناه:

"لم يجرع الشيخ سنعان الخمر بالخطأ
ولم يذهب الى ارمنستان بالخطأ
بل قد رأى طلعتك مثل موسى
والذي يراك؛ اين اذن خطأه؟"

كذلك ذكر الشاعر احمد خاني الذي جاء بعدهما، ان كل حب عذري مؤثر وكل عاشقين عذريين؛ صفاتهما يتقارب من صفات الرب وهذا توجه فلسفي للموضوع يؤكد ما ذهب اليه استاذه ملا جزيري، وهو كما يقول عن الشيخ سنعان والفتاة المسيحية:

"الشيخ زار بيت الله خمسين مرة
جننته انتِ
لماذا ايتها المسيحية؟"

اذن؛ ما متبع ومشهور بين الكورد ان فقي تيران هو الذي كتب ملحمة العشق هذه، وهي كما ذكرنا حقيقية. وكما يروى: فأن الشيخ سنعان كان شيخاً كبيراً وقديراً، يحيط به حوالي خمسمائة من مريديه، وكان عمره يناهز الثمانين عاماً، بيد انه ما ان رأى فتاة مسيحية في احدى جولاته، حتى فقد رشده وهام بها من كثر جمالها وفتنتها ودلالها، وفي النهاية، ينفد صبره؛ فيترك سيواكه وعمامته ومريديه ويتبع الفتاة المسيحية ودينها، كي تقبل به كزوج لها فتشترط عليه الفتاة عدى ترك دينه واعتناق المسيحية، ان يكون راعياً لخنازيرهم، ومن كثر وله الشيخ بالفتاة؛ يقبل بكل شروطها دون نقاش، رغم ان مريديه حاولوا معه جاهداً ان يرجع عن قراره ويعود اليهم، الا ان العشق اعمى بصيرته ولم يكن يرى في الوجود غير تلك الفتاة المغناجة المسيحية.

اخيراً؛ لايجد مريدو الشيخ سوى ان يلجأوا الى كبير شيوخ زمانهم وهو كما يسمى (الشيخ عطار) فيعقد الشيخ الكبير على التوجه الى الشيخ سنعان ليرده الى جادة الصواب، ويزيل عنه تلك الغمامة التي اعمت بصيرة شيخ كبير مثله، وعندما يسمع الشيخ سنعان بقدوم الشيخ عطار اليه؛ يخجل على نفسه كثيراً ويتمنى من الرب ان يأخذ روحه قبل وصول الشيخ عطار اليه، وبما انه كان عابداً كبيراً، فان دعاءه يستجاب من الباري، وهو على فراش الموت كان يتبادل حديث العين مع زوجته المسيحية ويقول لها: ها انا ذا اودعك متوجها الى ديوان الباري كافراً ولا ادري ماذا يكون مصيري، بينما كنت قبل ان القاكِ شيخاً يعتد به ويسمع صوته في كل الارجاء وهذا كله من اجلك، فارحمي بحالي واعتقيني من اسر جمالك... وفي هذه الاثناء دخل الى صدر الفتاة المسيحية شيء من النور وانشرح صدرها وعرفت بما فعلت من ذنب، بأن جردت هذا الشيخ الكبير من حقيقته ودينه السليم، فاستكفرت وعزمت على الدخول في الاسلام؛ فعادا معاً الى دين الاسلام وماتا معاً على ذات الفراش. هكذا يروى، وغيرها من الروايات المتقاربة الى بعضها.

هناك كتابات عديدة ايضاً لمستشرقين اهتموا كثيرا بهذه الملحمة، لما لها من ابعاد فلسفية كبيرة، تقول المستشرقة الروسية (م. رودينكو):"ان قصة العشق بين الشيخ سنعان والفتاة المسيحية منتشرة بشكل واسع في الشرق الاوسط وبلاد القفقاس. ومن الصعب تحديد مكان وزمان ظهور هذه الملحمة ومتابعة مصدرها، فقط نستطيع القول ان هذه الملحمة ظهرت بين جماعة تلهج اللغة الايرانية في عصر الفقهاء". هي قد اخذت هذه المعلومة من المستشرق الروسي الشهير (بيرتلس) الذي يقول:"لملحمة الشيخ سنعان اهمية كبيرة جداً، فهي عدا جمالية فورمها؛ اساس مصغر واختزال دقيق للصوفية".

يقول د. عزالدين مصطفى رسول في كتابه (الشعر الكوردي.. حياة ونتاج شعرائه /القسم الاول) :" يرى الدكتور احمد ناجي القيسي اربعة عناصر اساسية في ملحمة عطار:

١_ الانشغال بعبادة الرب لمدة طويلة والوصول الى الغايات في العبادة ودرجاتها.

٢_ عشق الفتاة المسيحية.

٣_ التحول الى المسيحية من اجل هذا العشق.

٤_ العودة الى الاسلام.

وهذه النقاط الاربع تنسحب ايضاً على ملحمة فقي تيران رغم ان هناك اختلافات طفيفة في السرد مع فريدالدين العطار(١١١٩_ ١١٩٣م) في كتابه (منطق الطير).

وفي معرض اصرار الشيخ في البداية على تمسكه بعشقه للفتاة المسيحية يقال في سرد فولكلوري ان الشيخ يقول لمريديه:"سأذهب انا بنفسي الى الشيخ عطار لاقول له، ان هذه المدينة مثل بستان بالنسبة لي والفتاة رمانة فيها وهي ملكي".

ويمكن القول ان مكان وقوع الحدث هو قرب بلاد الشام، كما ان فقي تيران هو من اهالي مدينة هكاري. ولا نشك ان الشاعر فقي تيران قد ادخل في ملحمته الشعرية فلسفته الصوفية وحفظ لنا في هذه الدراما الإنسانية فولكلورنا القومي.

رحم الله حافظ الشيرازي، اذ كان يرى ان العالم المرئي هو (معرض السر) وأية ذرة منه نابع من جمال ذلك المحيا الاعلى المطلق.. هذا التوجه الفلسفي الديني؛ ينسحب على كثير من شعراء الكورد، الذين سلكوا طريق التصوف الشعري مثل الشعراء: مولوي البلخي، مولوي تاوكوزي، محوي، ملا الجزيري، ملا فتاح الجباري، عيل بك الجاف، ومن يدور في فلكهم... هؤلاء كانوا يبحثون في ثنايا جمال الدنيا الفانية عن (الحقيقة)، بل كانوا في الذروة من ادراك الحقيقة بمعناها المطلق والنسبي.

يقول العلامة المرحوم (شكور مصطفى) حول هذا الموضوع الشائك:" أما في (البشرفت) الالهي لسمفونية خاني الخالد الذكر في مم وزين، ينحو الشاعر الى الحقيقة العليا ولايرضى عنها بديلا، ومن هنا جسد فكرته هذه في شخص (مم) الذي انسلخ في نهاية تجربته العشقية عن (فردانيته و ناسوتيته) في الصوب الاخر للاشياء.. أما (محوي) فيرى الاشياء بحراً للفتن والإنسان حرياً بأن يفر بجلده الى الصوب الاخر الأشياء هذه الدنيا؛ لان من كان شاغله الحقيقة العليا المطلقة؛ استغنى عن السفينة والسفان في خضم التفاهة والابتذال...".

"انت الذي تجذب القلوب
انت المطلق، المفيد والمستفاد
انت المريد بلاشبهة والمراد
جوهرك مستور في طلسم الوجود
وكنزك شاخص من اسم آدم
هذا العالم والإنسان والمشهود
هذا الممكن وما سوى الموجود"

بهذه الابيات المستقاة يستعرض (خاني) في انجيله الكوردي (مَم و زين) كوامن الصوفية المتجذرة في داخله، وحسبه يرى جمال الطبيعة الظاهرة؛ تجلٍّ من تجليات سيماء تلك الحقيقة المطلقة، ومواضعة قياسية كي يتحقق بها العشق.. ان ضياء الجمال، ماهو الا رمز من المحيا المطلق... وبعد ان غضب الرب على آدم انزله الى السماء الدنيا وجرد عقله من كل المعرفة التي منها عليه، الا شيئاً واحداً وهو غريزة اكتشاف الاشياء من جديد، لذا؛ فأن الإنسان وحده دون سواه يستطيع ان يستكنه الوجود الحقيقي خلف نور او ضياء، ولكن ليس كل إنسان يستطيع فعل ذلك، فأنى لإنسان لم يتجاوز عقدة وجوده ولم تطأ قدماه ساحة الحياة؛ ان يستكنه ذلك الوجود الحقيقي، بل ان هذه الحاسة الالهية تتأتى عن طريق رياضة الروح والجسد لتراتيل صوفية عميقة الاثر وطويلة المدى، الغرض منها تنظيف الجسد والروح من شوائب الحياة الزائفة بغية الوصول الى (النيرفانا)؛ ثم بعد ذلك تتجلى الحقيقة المطلقة امام ناظر، انقشعت عنها الغشاوة وانكشفت الى صاحبها الحجب، وبات يرى ما لا يراه الاخرون...

يقول فقى تيران:

"لم يجرع الشيخ سنعان
الخمر بالخطأ
ولم يذهب الى ارمنستان
بالخطأ
بل قد رأى طلعتك مثل موسى
والذي يراك؛ اين اذن خطأه ؟"

بهذه الطريقة رأى الشيخ سنعان جمال الفتاة المسيحية ووقع في حبها. ولكن مريديه لم يفهموه جيداً. فهو شيخ كبير المقام عند مريديه وعالي الدرجة عند ربه؛ أيعقل ان يترك الجبة والعمامة وكل هذه المسؤوليات الدينية الجمة؛ من اجل نظرة مفتونة من

فتاة فاتنة، لا بل يتحول ايضاً من شيخ عابد مسلم حج الى بيت الله الحرام (٥٠) مرة وله من المريدين اكثر من (٥٠٠) مريد وناهز في العمر الثمانون؛ يتحول من عشق عابر دنيوي من دين الاسلام الحق الى ديانة المسيحية بهذه السهولة والبساطة ؟! هل من المعقول ان شيخاً مثل الشيخ سنعان، العابد الغيور على دينه والفاهم لدنياه الزائلة، ان يحيد عن الحقيقة بهذه السهولة من اجل نزوة عشق دنيوية ويخسر الاخرة الابدية ؟!

لا يمكن لاي عاقل في مثل مكانته الدينية، ان يتعقل حدوث هذه الحادثة الغريبة. الا ان الذي حدث دليل على جرأة الشيخ سنعان في ابداء عمل لم يقم به احد قبله، ولا اتصور ان قام به احد بعده، الا ان الشيخ كان يعرف ما يفعله (حسب رايي) انه قام بأرضاء الفتاة المسيحية في دنياه وفي ذات الوقت قام بارضاء الله في آخرته. كيف ذلك ؟

باعتقادي ان الشيخ لم يكن ساذجاً الى هذه الدرجة بان ينجر وراء نزوات فتاة جميلة عابرة، ولكنه اثبت بذكائه السياسي، ان القناعات الاثنية قابلة للتغيير، اذا استخدمت معها المسايسة.

لم يترك الشيخ ديانته كما ذكر، بل ظل في قلبه وروحه يتعبد الى الله، ويجري مع ذاته طقوسه الدينية المعتادة، وقد تحول ظاهرياً عن دينه، لارضاء غرور الفتاة التي احبها حباً جماً، وطاول الحبل معها على الغارب حتى يعرف الى اين سيؤدي بهما المآل، وكل يوم كان يعطي بتصرفاته الصوفية ايحاءات بانها على خطأ وان عليها الرجوع الى دين الاسلام، وقد باتت الفتاة على قناعة بصحة ايحاءات الشيخ ولكن غرورها وعنادها لم يدعاها تذعن لرغبته. ولاشك ان الشيخ لما رأى الفتاة واحبها ثم عرف انها مسيحية، قرر في قرارة نفسه ان يسحب من يحب الى جادة الصواب ودعاها الى الاسلام، ولما راها انها عنيدة؛ آثر ان يتحول هو الى دينها حتى يرضي غرورها وكبرياءها.

وبما ان الشمس لا تحجب بالغربال؛ فان حقيقة الاسلام ايضاً لاتحجب بالاوهام، وهذا ما تؤكده نهاية الملحمة حين يكون الشيخ على فراش الموت ويدعوها مرة اخرى الى الاسلام، فتنزل الفتاة الى رغبة الشيخ بكل قناعة وتسلم امامه فيطمئن الشيخ على نفسه وعلى حبيبته، ويموتان معاً على ذات الفراش.

وجانب آخر يجب ان نذكره، وهو مهم جداً، وقد ذكرناه آنفاً يخص النظرة الصوفية لحقيقة الاشياء والموجودات الدنيوية، اذ ان الشيخ سنعان لم يكن ينظر الى جمال الفتاة على انها حقيقة الشيء وأنما كان يرى قبساً من نور الاهي كامن خلف هذا الجمال الدنيوي، فهو صوفي عابد يرى مالا يراه الاخرون، ويعشق الحقيقة الازلية للاشياء وليس الزائفة الزائلة، لهذا مشى في هذا الدرب للوصول الى الحقيقة المطلقة التي يؤمن هو بها. وقد افلح في النهاية وكسب الدنيا والاخرة معاً.

هل تحققت امنيتك يا بيره ميرد؟

مثلما ينبت الورد في التربة النظيفة والماء الصافي، كذلك تنبت ارض كوردستان الطاهرة عقول متنورة وابداعات فذة تستحق الاهتمام والتذكير، ومن هذا الباب سندخل في عالم المتنور المبدع (بيره ميرد) الذي كرس حياته كلها في سبيل تقدم امته ومات وهو يردد "كانت امنيتي دائما ان ارى قومي وهم في مكانة من تعلم وتقدم ارفع من هذه، اصبحت حسرة في قلبي..".

من هو بيره ميرد؟

انه الشاعر الكوردي الكبير (توفيق بك محمود آغا همزة آغا المصرفي). ولد عام ١٨٦٧ في محلة (كويزه) في مدينة السليمانية. كان جده مسؤولا إداريا لامارة احمد باشا الباباني آخر امراء البابانيين، ولهذا عرف بالمصرفي.

دخل توفيق بك الكتاتيب وهو في السابعة من عمره فتعلم القرآن والكتب الابتدائية على يد معلمه الملا حسين كوجه، ومن ثم تعلم على يد الملا سعيد الزلزلي. ثم تعلم العربية على يد الملا محمود في جامع جده (جامع همزة آغا) وبعد تقدمه في تعلم اللغة العربية، تحول الى قراءة "السيوطي" ثم سافر مثل بقية الفقهاء الى بلدان ومدن اخرى، فوصل الى مساجد مدينة (بانه) في كوردستان ايران. وبعد بقائه هناك فترة عاد الى مدينة السليمانية.

عيّن عام ١٨٨٢م عندما كان عمره (١٥) سنة، كاتبا لدائرة نفوس السليمانية وبعد فترة قصيرة عين كاتبا لـ(الضبط) في محكمة السيلمانية وفي عام ١٨٨٣ عين كاتبا لاملاك الهمايوني في حلبجة، وفي ايلول ١٨٨٦ اصبح باشكاتبا لمحكمة شاربازير. وبسبب نشاطه السياسي وتودده لقوميته نقل الى محافظة كربلاء عام ١٨٩٥ بصفة معاون لمدير المدينة، لكنه رفض الذهاب واستقال نهائيا من الوظائف الادارية.. ثم عينه الشيخ مصطفى النقيب وكيلا له لقضاء اعماله وتسهيل اموره.

وفي عام ١٨٩٨ وبدعوة من السلطان عبد الحميد، سافر مع الشيخ مصطفى النقيب والشيخ سعيد الحفيد الى تركيا ونزلوا في ضيافة السلطان وبعد سنة ذهبوا ثلاثتهم مع عدد من المثقفين والمتنورين الى اداء فريضة الحج.

وبعد عودتهم من الحج منحه السلطان العثماني لقب (بك) فاشتهر بعد ذلك باسم (توفيق بك).. ومن الصدف السعيدة ان الشاعر الكوردي الكبير (وفايي) والسيد احمد خانقاه الكركوكي كانا مرافقين له في طريق الحج وفي طريق العودة على طريق الحجاز، توفي الشاعر وفايي فدفنه السيد احمد خانقاه هناك وعاد وحده الى العراق. إلا ان توفيق بك توجه في عودته الى تركيا.

في حادثة طريفة كان لها تأثير في تغيير مسار حياة توفيق بك، وهي عندما همَّ عزت باشا كاتب ديوان بلاط السلطان عبد الحميد العثماني ان يرد على رسالة كان قد بعث بها (ناصر الدين شاه) الى السلطان، كلف عزت باشا الحاج توفيق بك بكتابتها، فيتعجب الجميع باسلوب كتابته بالفارسية وخطه الجميل وذكائه في اجابة الرسالة، لذا يصدر في ١٤ ايلول ١٨٩٩ امر سلطاني لانتسابه كعضو في المجلس العالي لاستنبول وفي ذات الفترة ايضا وبواسطة عزت باشا يقبل في "كلية الحقوق" ثم يحصل على شهادة الحقوق.. عندما اعلنت (المشروطية في تموز عام ١٩٠٥)، انحلت تلك المجالس التي كانت تدير البلاد. فانشغل توفيق بك حتى عام ١٩٠٨ بالعمل في المحاماة والكتابة في المجلات والجرائد.

وقد شغل بيره ميرد مناصب ادارية اخرى كثيرة منها:

- شغل منصب قائممقام جوله ميرك عام ١٩٠٩.
- شغل منصب قائممقام (بالاوا) في عام ١٩١٥.
- في نيسان عام ١٩١٨ اصبح متصرفا لمدينة أماسية التركية وبقي هناك الى عام ١٩٢٣.
- عين في ٢٦ شباط ١٩٢٦مديرا لمدرسة (زانستي) الاهلية في السليمانية فتخرج على يده جيل من الكتاب والمثقفين.
- عندما تشكلت الحكومة في العراق عام ١٩٢٣-١٩٢٤ رجع من تركيا الى بغداد ومن هناك عاد الى السليمانية في كانون

الثاني عام ١٩٢٥. فبقي فيها دون استلامه لوظائف حكومية، وعندما صدرت جريدة (**ژیان**) من قبل بلدية السليمانية عام ١٩٢٦ واصبح (حسين ناظم) مديرا لإدارتها ورئيسا لها، اصبح بيره ميرد مشرفا عليها. وحين توفي حسين ناظم عام ١٩٣٢ اصبح بيره ميرد هو المسؤول عنها ومديرا لها، وفي عام ١٩٣٧ وقعت خلافات بين موظفي البلدية والشاعر بيره ميرد، ادت الى سحب المطبعة منه، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد فقام برهن منزله الى مديرية الايتام وحصل على امتياز إصدار جريدة اخرى باسم (**ژین**). وكذلك اسس مطبعة **ژین** واستمرت الجريدة في الصدور الى ١٥ حزيران ١٩٥٠ وطبع منها (١٠١٥) عددا.

كان بيره ميرد ينشر نتاجاته باسم (حاج توفيق بك) الى ان نشر قصيدته (استيقظت في الصباح فرأيت الثلج متساقط) في العدد (٣١٢) من جريدة (زيان) عام ١٩٣٢ فغير اسمه من حاج توفيق بك الى (بيره ميرد) أي (الشيخ الهرم) فبدأ ينشر نتاجاته بالاسم الجديد وقد كان شاعرا فذا خلد قصائد جميلة واديبا بارعا، سطر نتاجات رائعة مثل (فرسان مريوان الاثني عشر-١٩٣٥).

رواية (محمود آغا شيوه كه ل-١٩٤٢). (كالته وكه ب-١٩٤٧) وهي قصص كوميدية ساخرة تنقد الواقع الإجتماعي لتلك الحقيبة من الزمن، رواية (مه م وزين-١٩٣٤)، حكم بيره ميرد -جزءان- وتبلغ ٦٤٤٨ مثلا وحكمة، (كه مانجه زه ن-١٩٤٢) وهي قصة ألمانية مترجمة من التركية الى الكوردية. ديوان مولوي (الاصل والروح) عام ١٩٣٥ وقد طبعه في مطبعته بجزأين. وسمى النص الاصلي المكتوب باللهجة الهورامية (الاصل) وحوله الى اللهجة السورانية تحت اسم (الروح) أي (روح مولوي) وقد ساعده في تحويل بعض

الكلمات الصعبة في اللهجة الهورامية كل من: (ملا عبد الله المريواني، ملا عزيز مفتي السليمانية والشاعر الكبير كوران). ديوان مولانا خالد النقشبندي- نشره على حلقات في جريدته ولم يبق لديه وقت لجمعها في كتاب. اشعار الشاعرين (وه لي ديوانه) و(بيساراني) جمع من شتاتها الكثير وحولها من اللهجة الهورامية الكوردية الى اللهجة السورانية. مجموعة من كتاباته النثرية الجميلة جمعها الكاتب اوميد آشنا وحققها في كتاب طبع من قبل دار ئاراس للنشر في اربيل. مجموعة مقالات عن تاريخ الكورد: تاريخ امارة بابان، عشيرة الجاف والكثير من الاحداث التاريخية التي هي مادة جيدة لمشروع كتاب ضخم. الآلاف من الابيات الشعرية القيمة نشرها في صحيفته ثم جاء من بعده الشاعر المرحوم (كاكه ى فلاح) وجمعها وطبعها في كتاب. العديد من الابيات الفلكلورية والقصص الفلكلورية وقصص الاطفال والالغاز، تصلح لأن تكون مشروع كتاب جيد.

الدلالات الخاصة بشعره

كان الشعر عند بيره ميرد يعني (صوت الاعماق).. الذات الإنسانية، الخوالج ومنغصات الحياة.. والمذهب الرومانتيكي طاغ بشكل عام على اشعاره، اما آلام الإنسان والارض، روح الوطنية والثورية فتظهر على اشعاره بشكل خاص جدا.. وتتكون اشعاره من عدة مذاهب أدبية: الكلاسيكية، الرومانتيكية والريالزمية، وليست لنتاجاته الشعرية مراحل أدبية خاصة كأن يتحول من المرحلة الكلاسيكية الى الرومانتيكية ثم الى الريالزمية، كونه كان يعمل عمل الصحافة كصحفي وشاعر في آن واحد.. وكان عليه ان يصدر جريدته في وقتها المحدد، لذا كان عليه التركيز في اعماله الصحافية اكثر من تركيزه في عالمه الشعري الخاص، فمثلا كتب في عام ١٩٣٢ شعرا

رومانتيكيا ثم في عام ١٩٥٠ وكما مبين في اعداد زين الاخيرة كتب شعرا كلاسيكيا تقليديا. وبالعكس في عام ١٩٤٨ نشر قصيدة قيمة اخذت طابعا ريالزميا تماما. بيد انه في الثلاثينات من القرن الماضي قلد الشاعر مولوي واصبح صوفيا يعشق الخلوة ويلتجئ الى مزار زاهد ويترجاه لمساعدة قومه للنجاة والتوحيد من اجل التقدم.

وقد كتب قصائده في العديد من الاغراض الشعرية مثل: الوطني، الديني، الحب، الرثاء، الالغاز شعرا، الاجتماعي، القصص شعرا، المناسباتي.. الخ، هذا بخصوص مواضيع وخلاصة اشعاره.

اما ما يخص "الشكل" عند بيره ميرد، فليس هو بذات اهمية، فالموضوع او الفكرة كان هو الاهم لدى بيره ميرد. ونستطيع القول ان غالبية اشعاره بعد رجوعه من تركيا واستقراره في السليمانية اخذت شكل نظام الـ(١٠) مقاطع، والذي هو نظام صياغة الشعر الفولكلوري الكوردي، وقد اخذ هذا الشكل الفولكلوري لبساطته وسهولة ولوجه الى قلوب الناس وفهمه وحفظه لديهم. ولا يعني ذلك انه كان غافلا عن معرفة البحور الشعرية العربية. بل كان بين الحين والآخر ينظم قصائد قوية على نظام البحور الشعرية العربية ليبين جدارته الأدبية لاقرانه من الشعراء.

دوره في تقدم الأدب والفولكلور الكوردي

عاد بيره ميرد الى السليمانية عام ١٩٢٥ تاركا من ورائه مناصبه كمتصرف لمدينة الاماسية التركية، مناصبه الصحافية، دراسته العليا، عمله كمحام في تركيا.. عاد وكله امل بأن يرى مدينته التي تركها عام ١٨٩٨ وهي يرثى لها،قد تطورت وتحضرت اكثر من ذي قبل، إلا انه صدم عندما عاد ورآها على حالتها الاولى، لم يكن رجوعه طمعا للمناصب او

المال، بل عاد الى البيت القديم لجده محمود همزة آغا المصرفي.وبدأ باصدار جريدة زيان عام ١٩٢٦ ومن ثم اصبحت (زين) واصدر (١٠١٥) عددا منها، املا في نشر الثقافة المتحضرة والوعي الاجتماعي. ولم يكن سلوكه لهذا المسلك الصحفي، نابعا من الاعتباط؛ بل كان مخاض تجربة شاقة ومريرة لمدة (٢٥) عاما في استانبول التي كانت حينها ملتقى عالمين مختلفين، عالم الشرق المتخلف وعالم الغرب المنتفض والمتقدم. لذا كان يحاول ان يلبس رداء تلك الحضارة المتقدمة على جسد شعبه واشترط لذلك ان يكون التعلم والتعليم اول خطوة لذلك.

ومن جهة اخرى؛ كان هو السباق في فتح (مدرسة للبنات) في السليمانية ويحث العوائل لارسال بناتها الى المدارس، فتعرض للكثير من المضايقات والانتقادات الشديدة، ولكنه لم ييأس، بل اخذ ينظم قصائد اقوى عن الفتيات ودورهن في المجتمع وضرورة تعليمهن.. كانت نتاجاته غزيرة وافكاره التقدمية اغزر. لذا التجأ الى اساليب جديدة لاستخدامها في نشر افكاره وايصال رسالته مثل:

اولا: الصحافة من خلال نشره لنتاجاته واصداره صحيفة خاصة تعنى بالأدب والفولكلور الكوردي.

ثانيا: طبع في مطبعته العديد من الكتب المفيدة ونشرها واحيا تاريخ وفولكلور قومه.. عدا ذلك، قسم جريدته الاسبوعية الى ثمانية اجزاء:

١- الأدبي: لاحياء الاشعار والأدبيات الكوردية المنسية وتركيز الضوء على جوانب مظلمة من حياة الشعراء الكورد ونتاجاتهم، وبذلك حث الآخرين ايضا على ان يبحثوا وينقبوا عن صور وحياة الشعراء.

٢- الاجتماعي: كان يحاول فيه عرض الحالة المتخلفة لمجتمعه.

٣- الاقتصادي: زين كل عدد من اعداد جريدته بمقالة حول اقتصاد بلاده وتطوير اقتصادها. كما تحدث عن هموم الفلاحين والكسبة وآلامهم وكان يتحدث دائما عن فتح الشركات وتبليط الطرق والمواصلات.
٤- الفلسفي: خصص هذا القسم للتطرق الى النظرة الفلسفية للشعر والأدب وتحليل ظواهر العالم والفلسفة الاسلامية
٥- التاريخي: خصص زاوية له باسم (تاريخ واشخاص) وكان يتحدث في كل مرة عن حادثة معينة وقعت في عشيرة من العشائر الكوردية. وكان يهدف من وراء ذلك تنوير عقول قومه بعدم جدوى تعقيد المشكلات وضرورة العيش كأخوة تحت سقف واحد، وكتب كذلك تاريخ امارة بابان وتاريخ عشيرة الجاف.
٦- العلمي: حاول ربط اهمية العلم بضرورة التعليم وبالتالي تقدم المجتمع.
٧- الديني: كان يسمي هذا القسم (فقهي) وبما انه كان إنسانا طيبا زاهدا في الحياة وراعيا للدين، فقد ابرز في هذا القسم عظمة الدين الاسلامي ورجال الدين عبر التاريخ من الكورد وغيرهم. كما نشر فيه على حلقات قصيدته (ناله ى بيرى بيران).
٨- القسم الفكاهي: وكان يسميه هو بـ(مزاحي وفكاهي).. كما زين كل اعداد جريدته ومنذ الثلاثينات بـ(الامثال والحكم) وتتجلى روعة عمله هذا في ان احيا الفولكلور الكوردي من خلال معالجته للامثال والحكم الفولكلورية الكوردية في اشعار منسجمة وخلدها فيها بشكل تثير القارئ حين يقرأها.
وايضا حاول بيره ميرد بالاستناد الى ثقافته واكتسابه للمعارف من خلال تجواله وبحثه في تركيا، ان يطور حركة المسرح وخاصة في السليمانية. وخصص في جريدته مكانا خاصا للنقد والتحدث عن المسرح والمسرحيات التي كانت تعرض في السليمانية. وكتب ونشر مسرحيات ألفها مثل: (مه م وزين، محمود آغا شيوه كه ل، شريف همونديي) وفي احيان كثيرة كان يوزع ريع هذه المسرحيات على طلاب فقراء واناس معوزين،

لقد حاول بيره ميرد بشتى الطرق ان يحيي اللغة والأدب والتاريخ والفولكلور الكوردي ويطوره، واعماله آنفة الذكر دليل دامغ على ذلك.

بيره ميرد وجريدة "كورد"

بعدما آلت خلافة السلطان عبد الحميد في بداية القرن العشرين الى الضعف بسبب نشاطات سياسية لشبان ترك ومن ثم الانحلال بواسطة (حزب الاتحاد والترقي)، تغيرت الاجواء العامة في تركيا وبات للصوت آذان تسمعه والاجهار به حرية.
وفي عام ١٩٠٨ اعلن عن اول تجمع سياسي كوردي في تركيا والذي كان قد تشكل عام ١٩٠٧ بشكل سري في زمن السلطان عبد الحميد. وكان اسمه الكامل (كورد تعاون وترقي جمعيتي) ومن مؤسسي هذه الجمعية السياسية: (امين عالي بدرخان، فريق شريف باشا، شيخ عبيد الله زاده، شيخ عبد القادر افندي) وكان توفيق بك -بيره ميرد- احد الاعضاء البارزين في الجمعية.
اول عمل قامت به الجمعية هو اصدار صحيفة ناطقة باسمها بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٠٨ باسم (صحيفة كورد) صاحب امتيازها (المحامي توفيق بك - بيره ميرد) ورئيس تحريرها (احمد جميل باشا) وكانت الصحيفة اسبوعية في (٨) صفحات. استمرت بالصدور لمدة ٨ اشهر إذ اغلقت في شهر حزيران عام ١٩٠٩ بعد ان منعت جمعية كورد من ممارسة عملها السياسي. كذلك صودرت مطبعة الجريدة من قبل السلطات التركية.
تعد صحيفة (كورد) لسان حال جمعية (كورد تعاون وترقي جمعيتي) ثاني جريدة كوردية في تاريخ الصحافة الكوردية، إذ لم تصدر بعد او خلال فترة صدور الجريدة الام (كوردستان ١٨٩٨/٤/٢٢) وجريدة (كورد ١٩٠٨) اية صحيفة كوردية اخرى لا في كوردستان ولا في خارجها.

نبذة عن حياته الشخصية

قبل رحيله عن السليمانية تزوج بيره ميرد من (غزالة خان) وكان له منها ثلاث بنات وهن: ١-مهدية: توفيت وهي طفلة، ٢-آمنة: تزوجت من (ميرزا محيي الدين) شقيق ميرزا فرج، وانجبت بنتان وقد توفيتا بعد ذلك. ٣-رحمة خان: وهي والدة (فائق هوشيار واحمد زرنك) وقد توفيت عام ١٩٧٧ ودفنت في تلة (مامه ياره) في السليمانية بجانب والدها.

ثم تزوج بيره ميرد في تركيا من امرأة اخرى، وانجب منها خلال فترة ٢٥ سنة التي قضاها فيها هناك ولدان، الاول اسمه (**نژاد**) والثاني اسمه (وداد). ولد ابنه البكر **نژاد** في مضيق (هه كبه لى أطه) او (أطه بازاري) حيث كان بيره ميرد ذلك الوقت قائممقاما له، حصل(**نژاد**) على شهادة الحقوق وقد زار والده في السليمانية مرتين، مرة زاره عام ١٩٣٣ والمرة الثانية في اربعينية وفاة والده عام ١٩٥٠.

توفي **نژاد** عام ١٩٥٤ في تركيا وترك من بعده ولدان (اتيلا ومحمد). اما (وداد) ابنه الثاني ولد ايضا في تركيا وحاصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد. زار والده في السليمانية قبل الحرب العالمية الثانية ومن هناك عرج الى بغداد ثم الى هندستان، وهناك حصل على الشهادة العليا في اللغة (السانسكريتية).

توفي شاعرنا الفذ بيره ميرد في ١٩ حزيران ١٩٥٠ في الساعة الرابعة بعد الظهر. اثر مرض السكري والكلية؛ عن عمر ناهز (٨٣) عاما وبناء على وصيته ووري الثرى في تلة(مامه ياره) القريبة من السليمانية.

مقطع مترجم الى العربية من قصيدة (نشيد المعرفة لنوروز) نشرها في (**ژيان**) باللغة الكوردية في العدد (٤٧٠) لعام ١٩٣٦.

اليوم بنوروز ازدهر الورد
هام البلبل من عشق الورد
هو ينشد حبا للورد
نحن ننشد طوال الشهور
هو هائم فقط للورد
نحن املنا رفعة قومنا
البلبل لعشقه الورد يغرد
نحن نعشق الام الحنونة
لايولد البلبل من ورق الورد
نحن من هذا الثرى المحفوظة

مقطع مترجم الى العربية
من قصيدته (سنوات) المنشورة
عام ١٩٢٧

"سنوات"

لسنوات كنا اسرى مثل القبج في القفص
وهنا كان وكرا لقطاع الطرق بالليل
لم نكن نجرأ للخروج والتنزه
ليلا دون ارتجاف
والآن بوجودكم لا نخاف
نروح ونجيء دون مشكلات او خوف
آه.. لو يدخل التعليم ايضا للميدان
فالعلم وحده يصنع الإنسان

المصدر

- مجلة كولان العربي/ العدد (٤٧) نيسان ٢٠٠٠، مقال للكاتب بمناسبة مرور (١٠٢) عاما على صدور الجريدة الام (كوردستان).
- ديوان بيره ميرد- جمع وتحقيق: اميد ئاشنا، دار ئاراس للنشر والطبع، اربيل.

عبد الله كوران (١٩٠٤- ١٩٦٢/١١/١٨)
شاعر الجمال والإنسانية.. و قضية شعب

شرعت الواقعية بعد الحرب العالمية الثانية؛ تتعاظم وتقوى في الأدب الكوردي، واخذت عناصر الواقعية الاشتراكية تتطور وتزدهر فيه بشكل سريع.. وفي عشرينات القرن المنصرم بدأت ابداعات كوران الشعرية، بالظهور، متفوقاً بها على اقرانه؛ سالكاً لنفسه بها مدرسة خاصة به، عرفت بعده بـ(مدرسة كوران الشعرية) وعده النقاد حينها(بالشاعر الاستاذ).

وهو بجهوده هذه؛ يعد رائد مرحلة أدبية بعد رواد ثلاثة آخرين سبقوه،وكان لكل واحد منهم عصب السبق لمرحلة أدبية معينة، وهم(ملاي جزيري١٤٠٧-١٤٨١)، (احمد خاني ١٦٧٠-١٧٠٦)،(حاج قادر كويي ١٨١٦-١٨٩٢).

بدأ عبد الله كوران شاعراً يرى في الجمال متعة ورسالة في درب الحضارة معاً، فأنشد للجمال قصائده الأولى، وان عرف كوران ردحاً بأنه شاعر الجمال، أو بالاحرى شاعر المرأة والطبيعة؛ فأنه لم يعزل ذلك الجمال عن قضية الإنسان والشعب يوماً...

ولد كوران في مدينة حلبجة التابعة لمحافظة السليمانية، كان والده شاعراً ملماً بالاداب الشرقية، علمه الدروس الأولى في أدب قومه والأدب الفارسي، وقد ادت وفاة ابيه و مقتل اخيه الاكبر الى تركه للدراسة، وانغماره في الكدح والعمل والدخول في هذا الصراع مع مساوئ الحياة التي بدأ به يافعاً؛ وانتهى معه وهو يطرق ابواب الشيخوخة... عمل معلماً ثم موظفاً وصحفياً واذاعياً واستاذاً محاضراً في الجامعة ودخل معترك السياسة وطنياً ومناضلاً ينتقل من سجن الى آخر.. اتقن اربع لغات غير لغته الكوردية(الفارسية، العربية، التركية،الانكليزية) واطلع على ادابها.

وبمناسبة ذكراه العطرة، آثرنا ترجمة هذه القصيدة، للدكتورة(نسرين فخري) و التي هي بعنوان(ئاوازى نه مر- اللحن الخالد) اذ كتبتها بالغة الكوردية بتأريخ ١٩٦٠/٥/١٩ في موسكو ونشرتها في كانون الثاني في مجلة (روناهي) الكوردية ببغداد، وهي مهداة الى الشاعر كوران:

"اللحن الخالد"

لتنزل الالحان هدراً
من شفتين يابستين
من قلب غارق بالدم
من بحر عيون ناعسة

وجفون ساهرة ليل نهار
حتى تنتشي
من في الاعلى او الاسفل
*****
تنسكب كلماتك المثيرة للأحساس
سطراً سطراً .. في اناء فمك
ليكتب يراع يدك المرتعشة
حتى تخدر كلا ركبتيك
*****
الى ان تختلط مع الحان(روبسن)
(لوركا) (بابلو)..
اختلاطاً؛ كالماء والخمر
كأمل القلب ولحن الناي
حتى تنسكب في منهل الحياة
وتؤلم قلب الاعداء
ذلك الصوت المرتفع
يذوب به الاعداء.

بورتريه جمري لـ "پيربال محمود" (١٩٣٤_ ٢٠٠٤/١٠/١٨)
عاشق العذوبة ... سليل الكلاسيكية

تذرفني الدموع حين اتذكره. في لحظات خاطفة، تقفز صورته الى ذاكرتي الواهنة، التي تنسى الاشياء بسرعة؛ الا المؤثرة منها، فتبقى عالقة فيها، تسترجعها في اول دغدغة لها، عبر حدث وقع، أو أمرٍ جمٍ حدثْ...

لا ريب، ان الخوض في حديث عن الشعر الكلاسيكي الكوردي، يذكر الجميع بخليفته المخضرم (پیربال محمود) الشاعر الذي وافته المنية يوم ٢٠٠٤/١٠/١٨ بعد صراع مرير مع المرض و الشيخوخة. كان يكره الشيخوخة، لذلك كان يمشي كثيرا ويأتي كل مساء الى (مقهى مجكو_ اربيل) ويجلس هناك بهدوء يتمعن الوجوه تارة، وتارة اخرى يتبادل مجاليه وندمائه اطراف الحديث، والغريب فيه، انه من فرط رومانسيته؛ كان يؤول لقطات الحياة البائسة؛ أزاهير شعرية جميلة.

كنت الاحظه دائماً، حين كان يأتي الينا ويجلس معنا، ما كان يتكلم الا اذا سأله احدهم، ولكنه حين كان يأخذ طرف الحديث؛ لم يكن يعطيه لغيره ثانية، فكان يرحمه الباري يفرغ ما احتبس في صدره من كلام، وكان غزير المعلومات تاريخياً وثقافياً، فكنت احد ندمائه الدائمين، وبعض الاحيان اتمشى معه حيث يذهب لأسأله اسئلة محصورة في صدري، فكان يشفيها بأجوبة غزيرة المعلومات ومطنبة الجوانب، كنت اقول له دائماً ان يدون كل هذه المعلومات المهمة في كتاب، لأن المنية متربصة، فلم يكن يهتم.. لقد كان معجبا بشعراء المهجر ورابطة القلم وشعراء الديوان في مصر والشعراء الكلاسيكيين، خاصة علي محمود طه المهندس، حيث كان كثير الكلام عنه ويحافظ لاغلب اشعاره ويتلذذ في القائها علينا، وعلى ما اظن كان متأثراً به لدرجة ان بعض اشعاره تشبه في بعض ابياتها اشعار المهندس، كانت ذاكرته قوية، يحفظ لهؤلاء قصائد كثيرة وله مقارنات نقدية قوية عنها. ولكنه كان يسجل كل ذلك في ذاكرته ولا ادري ان كان قد دونها على الورق أم لا.

ولد پیربال محمود في مدينة اربيل عام ١٩٣٤ وتوفي فيها، انجذب منذ صباه نحو الأدب وتمكن بطلاقة من لغته الام واللغة العربية والتركمانية. خرج خلال مسيرة حياته الأدبية بدواوين شعرية، منها بالكوردية: (لافاو_ الفيضان)،(شورش_ الثورة)، (بە هە شتی دلداری_ جنة العشق)، (بزە ی سروشت_ ابتسامة الطبيعة) و ديوانه الاخير (مەرگی نەوجەوانێ _ منية يافع).

وله ثلاث كراسات شعرية مطبوعة بالعربية: (اغاني الثورة)، (من الماضي)، (شبابة الالم) وديوان (همسة العشاق).

بدأ نشر قصائده في بداية خمسينات القرن المنصرم على صفحات جريدة (هەولير) و (ژين) و (پێشکەوتن) و (هاوکاری) و (برايی) و (عيراق) و (أيام) وايضا على صفحات مجلة (هەتاو) و (شەفەق) و (بەيان) و (رۆژی كوردستان) و(كاروان) و (نوسەری كورد) و (نوسەری نوی) و (ئۆتۆنۆمی) كما أنه نشر بعض قصائده باللغة التركمانية في الجرائد والمجلات التركمانية، وكان دائم النشر لنتاجاته بعد الانتفاضة الاذارية عام ١٩٩١ في صحيفة (خه بات) التي كانت سابقا تصدر باللغة العربية حتى عملية تحرير العراق عام ٢٠٠٣، وله مقالات نقدية قوية عن الشعر.

في بداية شبابه انجذب الى المذهب الرومانسي وانعكس على غالبية اشعاره، وكما يقول: "حينها كنت واضعاً قدمي اليسرى على عتبة العشق كشاب، ولكنني حين وضعت قدمي اليمنى على عتبة السياسة؛ بدأت بالنظم في المذهب الواقعي".

وكان متأثراً من حيث الشكل والمضمون بشعراء كورد رواد وأفذاذ مثل (كوران، هردي، هيمن و دلدار).
حاول الشاعر النظم على طريقة العروض العربية وبحورها الـ ١٦ للعلامة خليل بن احمد الفراهيدي، وقد قلد في ذلك مسار الشعراء الكورد مثل (نالي، سالم، وفايي، محوي، و مولوي) الا ان غالبية نظمه كانت باسلوب الوزن المحلي والاصيل، أي على وزن (الاصابع) أو (السيلاب) الذي ينبع من الاصول الفولكلورية الكوردية القديمة.
لم اجلس معه يوما الا وذكرني بالشاعر (كوران) مبدع الحداثة الشعرية الكوردية، لأنه كان متأثراً به كثيراً، اذ كان يعد نفسه تلميذه السائر على دربه.. وكان يفخر باشعاره الرومانسية الحالمة مع اعتزازه بمواقفه الثورية وقصائده القومية، كما أنه أحس بثقل الشيخوخة على كاهله، فبات بين الحين والاخر ينشد انينا خفياً وكتوماً؛ يعاتب به الزمن والشباب الذي مضى:

مقطع من قصيدة (موكب الايام)
أيا نداماي من خمري ومن قدحي
اني أحن الى صحبي واخياري
اين الثواني، وكانت للهوى قبلا،
وفي مواقيتها اديت ادواري
اين الغواني اذا الاوتار قد رقصتْ
رقصن تواً على ايقاع اوتاري؟
(.....)
اليوم لا الليلُ يغريني ولا سحري
لا الشمس شمسي ولا الاقمار اقماري
(.....)
اين الفراديس من نايي ومن نغمي

الى وريفاتها اشتاقَ مزماري ؟
هل قد تعود الى دنياي ثانية
تلك الخمائلُ، ألفافي وأشجاري
لكنت سخرتُ وقتي في مدائحها
وقتي جميعاً أماسي وأسحاري

وفي اوقات كان يحن الشاعر پيربال محمود الى ايام شبابه وفروسيته في ميدان العشاق، كما في قصيدة له بعنوان (يافتاتي) ينادي فيها محبوبته الى السهر بين عيون وينابيع صافية واوراق ورد رقيقة وضوء النجوم البهي، هاك مقطع منها:

يافتاتي قد سجى الليلُ بآفاق التخوم
والدراري نورتْ تلمع في عمق الغيوم
وهنا بين عيونٍ صافيات وكروم
كل كأس نكهة تخمد نيران الهموم
فتعالي نسهر الليلةَ في ضوء النجوم
قبلةٌ واحدة عند التلاقي
تكتم الاهاتَ في صدر السواقي
هاهنا تحت الرواق
عند أزهار رقاق

ومن خلال معرفتي به ومجالسته، عرفته ابياً يفخر بماضيه وحسبه ونسبه، ليس غروراً أو تعاظماً، وأنما تدويناً وتثبيتاً لتاريخه وأسكاتاً لمن يبحث عن القيل والقال، وقد أستفزه سائل بسؤال عن نسبه وأصله، فسال قلمه دموعاً لماضيه العريق وانفتحت قريحته تناشد السائل ان يقرأ سطوره المطرزة بالاصالة والكبرياء، فكتب هذه الابيات ونشرها في صحيفة خه بات العربية في عددها (١٠٣٢) الصادر في اربيل بتاريخ ٢٠٠١/٦/٢٩ :

"سألني سائل: عجبت من امرك يا هذا. انك تتكلم بثلاث لغات بطلاقة. وتكتب وتنظم الشعر بها. لقد تحيرت في امرك. هل انت بالاصل كوردي أم تركي أم عربي؟ هلا جاوبت على سؤالي؟
الى هذا السائل اليه ارفع هذه المقطوعة الشعرية:

أيها الباحثُ عني في السجلات العتيقة
لا أخالُ نَسباً قد حط شأني في الخليقة
أنا من (اربيل) من مهد الحضارات العريقة
مولدي فيها وروحي بمغانيها لصيقة
أنا (كوردي) لساني لم يقلْ الا الحقيقة
وجدودي كانوا اعلام علومٍ وطريقة

الى ان يقول:

انا من (بابان) من جذع دوانيه لزيقة
قد يعري الله اغصاناً وريفات وريقة

وفي النهاية يقول:

لم افاخر بجدودي عبر ايامٍ سحيقة
لا وسبحان الذي يحيي العظام بصعيقة
انما احببت ان انقذ انساباً غريقة
قلمي يهتف في سمع رفيق ورفيقة
أصلنا يرجع للصلصال من بدء الخليقة

يرحمك الله يا شاعر الإنسانية والرقة والعذوبة، لقد كنت من القلة الباقية للسلالة الكلاسيكية المنقرضة. الكلاسيكية الكوردية ضاوية من بعدك ومكانك في القلب محفور الى الابد.

* * *

دراسة وبيبليوغرافيا القصة الكوردية

١٩٢٥-١٩٦٩

مقدمة*

الأدب ظاهرة اجتماعية وتعبير عن مجمل انفعالات الكاتب ومشاعره الوجدانية لإنارة الليالي المظلمة والطويلة ومعالجة جروح المجتمع والتأثير على حركة الحياة الحادة.

وتعد القصة أحد الفروع المهمة لأدبنا، والتي يرجع ظهورها إلى عشرينات القرن العشرين، وقد التفتت الانظار اليها وشجعت على كتابتها في حدود الحرب العالمية الثانية، وتماسكت في بداية الخمسينات وتمخضت عنها عدة نتاجات عظيمة؛ ومنذ ذلك الحين وهي في مراجعة مستمرة مع ذاتها وتخطو خطوات متطورة وواثقة.

لذا، فأن تاريخ هذا الفن وفصل مراحله عن بعضها، ودراسة مجمل مواضيعها والكتابة عنها يحتاج إلى جهود مضنية لكي نستطيع وحسب برنامج علمي تحديد بداياته ومراحله التاريخية، للوصول إلى حقيقة قاطعة الشك، لأن هذا الفرع من الأدب لم يدرس لحد الآن بالشكل المطلوب، والجهود المبذولة في هذا المجال، ليست سوى مقالات سطحية. وهذا مدعاة للاسف على أن قوما عريقا مثل الكورد يملك تاريخا مليئا بالتضحيات في جميع مجالات الحياة، الا في هذا المجال وبعض الأمور الأخرى التي ما زالت مكتبته فارغة من مصادر تسهل عمل الباحثين والنقاد. بينما اهتمت الدول

المتطورة منذ زمن بعيد بهذه المواضيع وعبر دارسوها كل من طرفه واتجاهه عنها وأغنت مكتباتها بها.
ولرؤيتي الأدب الكوردي على هذا الشكل البائس، ولعدم وجود مصدر واضح عن القصة الكوردية، لذا أصبح هذا الجانب هو شغلي الشاغل للكتابة عنه وعن بدايات القصة الكوردية ومراحلها وكتابها وأعرضها للتحقيق والتنقيح والتقييم حتى استطيع من هذا المنطلق تحديد خطوط التصاعد والتنازل لهذا الجانب المهم من الأدب الكوردي، وليصبح عملي هذا مصدرا موثوقا ومفيدا للآن والمستقبل.
ونتيجة لجهود مضنية وبحث دؤوب وتصفح عشرات الجرائد والمجلات الصادرة خلال (٤٥) سنة ودراسات مستفيضة وغربلتها وتحديد الاتجاهات المتعددة للقصة ؛ فقد تمخض هذا الكتاب الذي هو عبارة عن تحليل قصص هذه الحقبة الزمنية بحيث ينسجم هذا التحليل مع التاريخ. وبهذا الصدد فقد جانبت الانحياز ونظرت إلى النتاج وكاتبه من كوة الأدب فقط..
ومن الواضح ايضا، أن غربلة نتاجات (٤٥) عاما في كتاب متوسط الحجم كهذا ليس بالامر الهين وليس بمقدوره أن يحلل ويغربل ويتعمق في جميع القصص، بل يحتاج ذلك إلى العديد من دراسات مستفيضة ذات نطاق أوسع.
ولقد حاولنا دراسة القصص ووضعنا مواضيع مختلفة فوق طاولة التحليل والتمحيص، بشكل تفوح منها رائحة تلك المرحلة وملامحها، وتعكس بشكل واضح حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. عدا ذلك سلكت دراستنا ايضا في بعض القصص مسالك طويلة ومليئة بالادلة والمصادر. بينما في بعضها الآخر سلكنا أقصر الأساليب والطرق لتبيان غاياتنا. وهذا يعود إلى مستوى النتاجات ومدى حاجتها إلى البحث والتنقيب... ومن جانب آخر ولكي يأخذ العمل طابعا اكاديميا،

فقد أضفنا معلومات اضافية حول كل كاتب قصة بشكل مختصر وبيّنا من خلالها بدايات الكاتب.
وعدا الدراسة المستفيضة الموجودة في هذا الكتاب عن الكتَّاب ومراحل تطور القصة الكوردية، فقد أعددت في قسم خاص منه بيبليوغرافيا بمجمل القصص المؤلفة خلال الاعوام ١٩٢٥-١٩٦٩ ورتبناها حسب تاريخ نشرها.. ويعتبر هذا أول محاولة شاملة في هذا المجال وهو مصدر موثوق عن القصة.
أتمنى أن ينال جهدي هذا رضا واستحسان قراء وطني العزيز وأرجو أن استطعت وضع مادة جديدة ومفيدة في خانة المكتبة الكوردية ومهدت الطريق أمام نقاد وباحثي المستقبل ونفضت الغبار عن صفحات أيام غابرة ووضعتها أمام أنظار أبناء وطني.. أقول هذا دون أن أعد كتابي هذا كاملا لا ينقصه شيء..بل على العكس فأنني أعتبره عملا تمهيديا وأوجه كلامي للقراء، كي ينظروا إلى عملي هذا بعين الناقد والمصحح ولا يتغاظوا عن اخطائي.
وأخيراً، اشكر الاخوة الذين سهلوا لي الوصول إلى عدة مصادر مهمة ووضعوا تحت يدي بعض الاعداد لمطبوعات كوردية، وبألاخص الاخوة في المكتبة العامة في السليمانية:(عبدالله كريم، علي حامد قادر، محمد فتاح) والاخوة اصدقاء الأدب موظفو مكتبة جامعة السليمانية:(رحيم عزيز، ثروة محمد أمين، وإسماعيل إبراهيم) وأيضا الكاتب الشاب رؤوف حسن الذي خفف شيئا من عبئي، اتمنى أن يزداد نظراؤهم لخدمة الكلمة الكوردية.

التفاتة تاريخية

لو التفتنا إلى الوراء وتمعنا بنظرة دقيقة في الصفحات والجوانب المتعددة لتاريخ امتنا، خاصة الفترة المتخلفة التي كانت ترزح تحت نير الحكم العثماني، سنلاحظ فوراً تلك الأحوال المزرية التي كانت تمر بها هذه الأمة، حالها حال باقي الأمم الأخرى التي كانت تعاني من أعباء ثقيلة في ظل تلك الإمبراطورية المهزوزة وتتجرع من جرائها سلسلة من القمع والاضطهاد، وكانت الحياة بالنسبة للمجتمع الكوردي عبارة عن جملة من الانتكاسات وعدم التفاؤل بالمستقبل، بحيث كانت الحالة المعيشية للفرد الكوردي في أدنى درجاتها ونور الثقافة منطفئة، ولكن وبسبب تغير ظروف الحياة وقصر حبل الكذب وظهور اعمالهم المشبوهة للعيان في اواخر القرن التاسع عشر توجهت هذه المؤسسة المبتذلة الى الهاوية والانحدار نحو هوة الفناء.

من جهة أخرى كانت الإمبريالية الغربية تنظر إلى منطقة الشرق الأوسط بنظرة مستقبلية، كي تضع فيها بيوضها لتسيطر عليها وتخلف مكان النظام البائد، في هذه الاثناء كانت روح الانتفاضة والمشاعر القومية والوطنية واصلة إلى ذروتها. حتى عام ١٩٠٨ حيث استلمت جمعية (الاتحاد والترقي) زمام الامور، ولكنها لم تقدر أن تلبي آمال الأمم التي كانت تنظر اليها وتأمل منها أن تعمل على تغيير الواقع فكريا واقتصاديا وسياسياً.

ورغم أن حركات ثقافية ظهرت بين الكورد في كوردستان تركيا أيام الحرب العالمية الأولى وحتى انتهائها وصدر بعض المجلات والجرائد مثل (كورد، روزي كورد، هه تاوى كورد) والتي مهدت لبناء أساس متين لاخضرار برعم الثقة والشعور بالانتماء والحرية، وغالباً " كانت تلك الإصدارات السياسية السرية، تصل إلى مناطق من بادينان "، ولكن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والتغيير الشامل الذي اجرته على خارطة الحياة في المنطقة ووأد اخر اذيال الدولة العثمانية وسيطرة الإمبريالية الإنكليزية على

المنطقة. والانتكاسة التي لحقت بالحركة التحررية الكوردية في كوردستان تركيا؛ انتهى الوضع إلى تثبيت الحكم الفاشي على المنطقة.. كل هذا أدى بالحركة الثقافية وصداها نحو الخفوت والسبات فضلاً عن انه جعل الحياة وامالها كئيبة بالاخص بعد مساومات المؤتمرات الدولية مثل مؤتمري: سيفر ولوزان).

بعد أن وضع الإنكليز اقدامهم على اراضي العراق وثبت حكم اتاتورك في ١٩٢٤، دبت في اوساط كورد العراق حركة ثقافية وطنية، وانتقل هذا الإحساس الحار إلى كوردستان العراق وولدت عدة جرائد ومجلات؛ خاصة في عهد حكمدارية (الشيخ محمود الحفيد) (١٨٨٢- ١٩٥٦/١٠/٩) مثل: (بانكي كورد، بيشكه وتن، ئوميدى ئيستقلال، **ژيانەوه**) وتشكيل جمعيات سياسية مثل: (لاوانى كورد، مدافعه ى وطن) والتي احيت في قلوب مثقفي ذلك العصر روحاً مفعماً بالامل، لان المطبوعات هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الآراء وتطور اللغات واداب الشعوب والتبادل المسائل الفكرية والتعبير عن خوالج النفوس والوصول من خلالها إلى الجماهير، وكان كتاب وكوادر الصحف والمجلات في ذلك العهد يلجأون مع عملهم في كتابة التاريخ

والقضايا الاجتماعية، إلى الأدب ويعدونه سلاحاً فعالاً، كما أن ظهور بوادر أول قصة كوردية مدونة في اواسط العشرينات من هذا القرن (أي القرن العشرين- المترجم)، هو حصيلة كفاح أصحاب المطابع في تلكم الايام، وليس هناك فرع من فروع الأدب يحتاج بقدر فرع القصة إلى أرضية مناسبة للتعريف بنفسه والانتشار بين القراء، ولهذا السبب ربطنا ظهور القصة ببداية ظهور الصحف والمجلات الكوردية والتي ادت دورها الحقيقي والفعال في تاهيل هذا الفرع الأدبي المهم.

بوادر القصة الكوردية

لكل ظاهرة طبيعية، بداية خاصة مرتبطة بعدة قوانين، مثل التغيير والنمو، ولا يحتاج هذا الكلام إلى دليل، لانه خميرة فلسفة مجربة. وللأدب بكل فروعه بداية ووقت معين. ولم يصل إلى تلك الدرجات اعتباطاً. ولكن لو اجرينا قلم التحقيق والبحث من منطلق التقييم والبحث العلمي الشامل؛ سنصل إلى نتيجة، مفادها أن مجمل نتاجنا الأدبي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، كان عبارة عن الشعر ومواضيعه، ولم يقتصر ذلك على الأدب الكوردي، بل كان الأدب العربي هو الاخر يمتاز بذات الصفات. وفي هذا الصدد "يعتقد القاص العربي ذنون ايوب أن القصة العربية المدونة ظهرت في بداية هذا القرن -أي القرن العشرين.. المترجم- وانعكست بشكل مناسب على صفحات الجرائد والمجلات" لان القصة عكس الانواع الأدبية الأخرى، اهتمت بها اكثر الشعوب التي عرفت الطريق إلى الصحف والمجلات والطبع والنشر اسرع من غيرها.

وأي شعب لم ينمو فن الطباعة فيه ولم تقطع الثقافة فيه شوطاً جيداً؛ فذلك يوضح أن فن القصة بقي فيه مؤطراً ولم يشهد أي تطور يذكر، وهذا يعود إلى طبيعة ذلك الفن، لان القصة الفنية لا تحفظ مثل الشعر ولا يمكن التعبير بها عن خوالج النفس مباشرة،

بل تحتاج إلى الكتابة والنشر، لذا فان الشعوب التي تاخرت في الاهتمام بالطباعة، فعلى ذات النسق تأخرت فيها تطور القصة.

وليس للكورد في هذا المجال تاريخ طويل وبين، ففي كوردستان العراق "كانت مجلة بانكي كورد هي أول اصدار كوردي ينشر أيام الحرب العالمية الأولى من قبل جمال الدين بابان، وقد توقفت عن الصدور بعد بضعة اعداد بسبب احتدام الحرب في ذلك الوقت" لذلك فان الأمة التي نور العلم فيها ضئيل ولا تملك تجربة طويلة في هذا المجال، فكيف للقصة اذن أن تورق وتخضر في ارضها؟ عدا أن هذا الفن يحتاج إلى ذاكرة شمولية ويحتاج الأدب إلى امكانات لقطع الاشواط وان يتمتع متعلموها بثقافة واسعة، كي تتجذر القصة فيها ولا تندثر بمجرد هبوب ريح خفيفة.

ولكن، بعد الحرب العالمية الأولى وانهيار المؤسسات العثمانية، اكتسب كتّاب الكورد خبرة قليلة في كتابة القصة، ولا شك أن عودة المثقفين من الخارج إلى ارض الوطن واشاعتهم الاحاسيس المرهفة بين اقرانهم كانتا السبب في تهيئة الارضية المناسبة للقصة ودفعها لحد ما الى امام، وكانوا يتمنون من كل قلبهم أن يعرّفوا المثقفين بهذا الفن الغربي الرفيع.

من جهة أخرى كانت هناك خميرة نظيفة لكتابة القصص والتي كانت عبارة عن القصص الفولكلورية والقطع النثرية والمقالات القصيرة المنشورة في تلك الفترة والتي كانت تفوح منها مشاعر وأحاسيس خاصة.. هذه كلها اسباب أرى انها كانت الكفيلة في اخذ القصة ناصية الطريق السليم للظهور، وخاصة المسابقة التي نظمها (الميجر سون) عام ١٩٢٠ عن طريق جريدة (بيشكه وتن)، والتي "شارك فيها عدة اقلام معروفة في ذلك الوقت وفازت بجوائز قيمة" وبهذه الطريقة ارتكن النثر الفني في زاوية من زوايا الأدب الكوردي بعد أن كان بمثابة تجربة اولية لظهور الولادة الأولى للقصة.

ورغم أن هذا الفن الجديد في أدبنا هو بالاصل فن أوروبي رفيع؛ الا انه اخذ طابعاً وطنياً من خلال طريقة تفكير شخصيات القصص، وملامحها وكيفية صياغتها.
من ناحية أخرى وبفعل التأثير الحضاري وملامحه الظاهرة مثل: الكهرباء والاذاعة والتلكراف؛ تعقدت ظروف المعيشة في المجتمع الكوردي. لذا، كان لزاماً أن تكون هناك وسيلة أخرى للتعبير عن همومه الداخلية، وتبحث في مشكلاته، التي لم يكن ذلك في مستطاع فن الشعر. خاصة وان التأثير الاقتصادي وتوطيد العلاقات مع الأسواق الغربية، اديا مع بقية الأسباب مجتمعة دوراً بارزاً في ظهور القصة، التي برزت في ارض الأدب بعد الحرب العالمية الأولى بعشر سنوات. وبدأت بالنمو والترعرع في كنف الجرائد والمجلات الكوردية.
ولكن كحقيقة تاريخية، يجب أن نذكر أن هذا الفن كان له وجود قبل هذا التاريخ ولكن بشكل بسيط وعلى هيئة: الاقوال المأثورة، الخرافات، حكايات الليالي الطويلة قرب الموقد، والمواضيع الفولكلورية. ويرتبط بداياته ببداية تاريخ هذه الامة ويرمز اليه كأدب وفولكلور غير مدون وتنظر اليه الشعوب العالمية نظرة احترام وتقدير ويؤشرون اليه ضمن الارشيف الخاص، بفخر واهتمام ويعدونه المصدر الأول للأدب. يقول (مكسيم غوركي) بهذا الصدد: " من ناحية الإنتاج، فان الشعب هو الفيلسوف والشاعر الأول وهو المولد والمبدع لكل تلك القصائد والملاحم الموجودة في تراث العالم". وهذا التشبث بالفولكلور، حث الشعب اكثر على التفكير بشكل اعمق واثقف من ذي قبل. لجمعه والكتابة عنه والاستفادة منه لاغناء النتاج الأدبي.
لاجرم؛ الكورد أصحاب ثروة كبيرة من الفولكلور، ورغم ان الكتاب لم يتفرغوا له كلياً ولم تمد اليه اليد لجمعه وتصنيفه وتقييمه بالشكل المطلوب، الا انه في المقدور الإشارة إلى بعض القصص الفولكلورية التي نظمت على أساس الشجاعة والنبل وصفاء النية والوصول إلى الغايات، مثل (به ختيارو به دبه

خت) و(به ركه رد و فه ركه رد) و(كجى شاى به رييان) و(مه مى وئايشى) واخرى كثيرة، دونت جميعها كتراث شعبي ووصل المثقفون إلى قناعة مفادها أن هذه النتاجات هي انعكاس الحياة الاجتماعية وحصيلة تجارب العهود الغابرة.
وكانت أهميته هي التي دفعت بالكتاب والمستشرقين العالميين للدراسة والتحقيق عن هذه الثروة الكوردية. يقول مينورسكي: "عند اثوريي الجبل، فان انشاد الاغاني الكوردية ورواية القصص الكوردية اصبحا عادة لدى الجميع" ومن جهة أخرى يعتقد نيكتين: "الأدب الكوردي بالدرجة الاولى، هو فولكلور كوردي، ولا يبصر في هذا الفولكلور مخلفات وموروثات الأجيال السابقة فقط، بل ان هذا الفولكلور دليل اليوم للاقدام على الحياة، وازدهار قوة الإنتاج".
لذلك؛ فكتاب الكورد حين فكروا في كتابة القصة، لم يعتمدوا فقط على الأسباب سالفة الذكر كاساس ومادة، بل كانت ثروتنا القومية ومجمل الفولكلور بجميع اصنافه عاملاً مساعدا كمصدر نير لبداية معروفة بالنسبة للقصة الكوردية، وقد تطورت شيئاً فشيئاً نحو الامام، وخلال فترة ظهورها (أي اول قصة كوردية فنية مدونة) اجتازت عدة مراحل رئيسة، وكل مرحلة مرآة للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة فيها ولها طبيعتها وشكلها ومضمونها الخاص بها، وبالامكان تصنيفها من الناحية الفنية بسهولة وتحديد مديات تطورها، كما سنبينها في الصفحات اللاحقة وسنحاول تسليط الضوء عليها نقداً ودراسة؛ معتمدين على الادلة والامثلة القصصية.
*هذه مقدمة لكتاب (تاريخ وبيبليوغرافيا القصة الكوردية..) لمؤلفه الأستاذ عمر معروف برزنجي المطبوع سنة ١٩٧٠ ترجمناها من اللغة الكوردية إلى اللغة العربية لاهميتها... وهو بالاصل مشروع ترجمة كاملة له تأخرت بسبب ظروف خارجة عن الارادة، وستتحقق في القريب العاجل باذن الله.